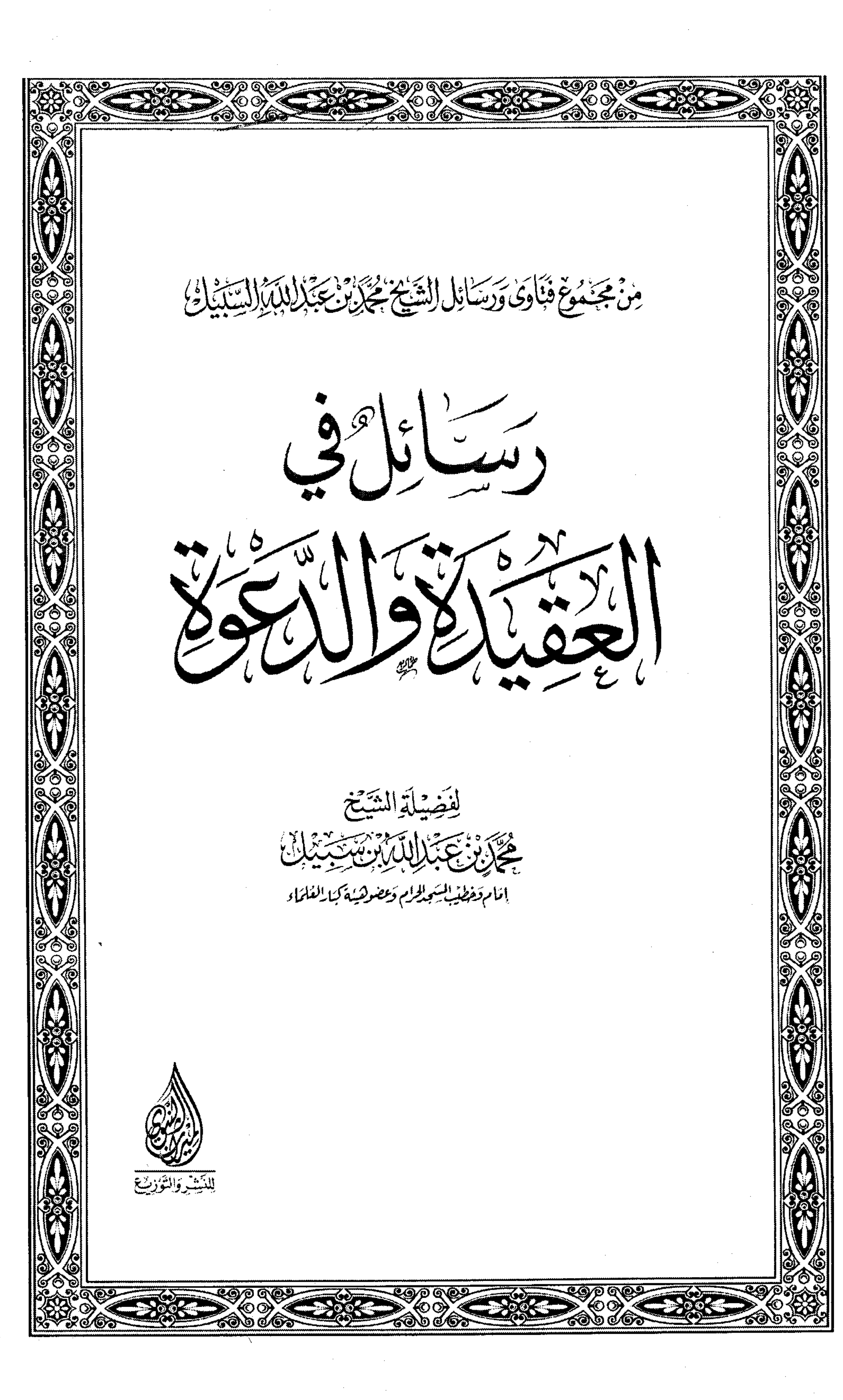


من مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عبد الله السبيل

رسائل في العقيدة والدعوة

لفضيلة الشيخ

محمد بن عبد الله بن سبيل

إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء

للنشر والتوزيع



محمد بن عبد الله السبيل
إمام وخطيب المسجد الحرام

الرقم: ٤ / ٣ / م
التاريخ: ١١ / ٧ / ١٤٣٠هـ
المشفوعات:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أذنت لدار الميراث النبوي للنشر والتوزيع بالجزائر بطباعة الرسائل المنتقاة من كتابنا « فتاوى ورسائل مختارة » وهي:

١ – فتاوى في العقيدة والدعوة.

٢ – فتاوى الطهارة والصلاة.

٣ – فتاوى الصيام.

٤ – فتاوى النكاح.

٥ – فتاوى المرأة المسلمة.

٦ – فتاوى الآداب الشرعية.

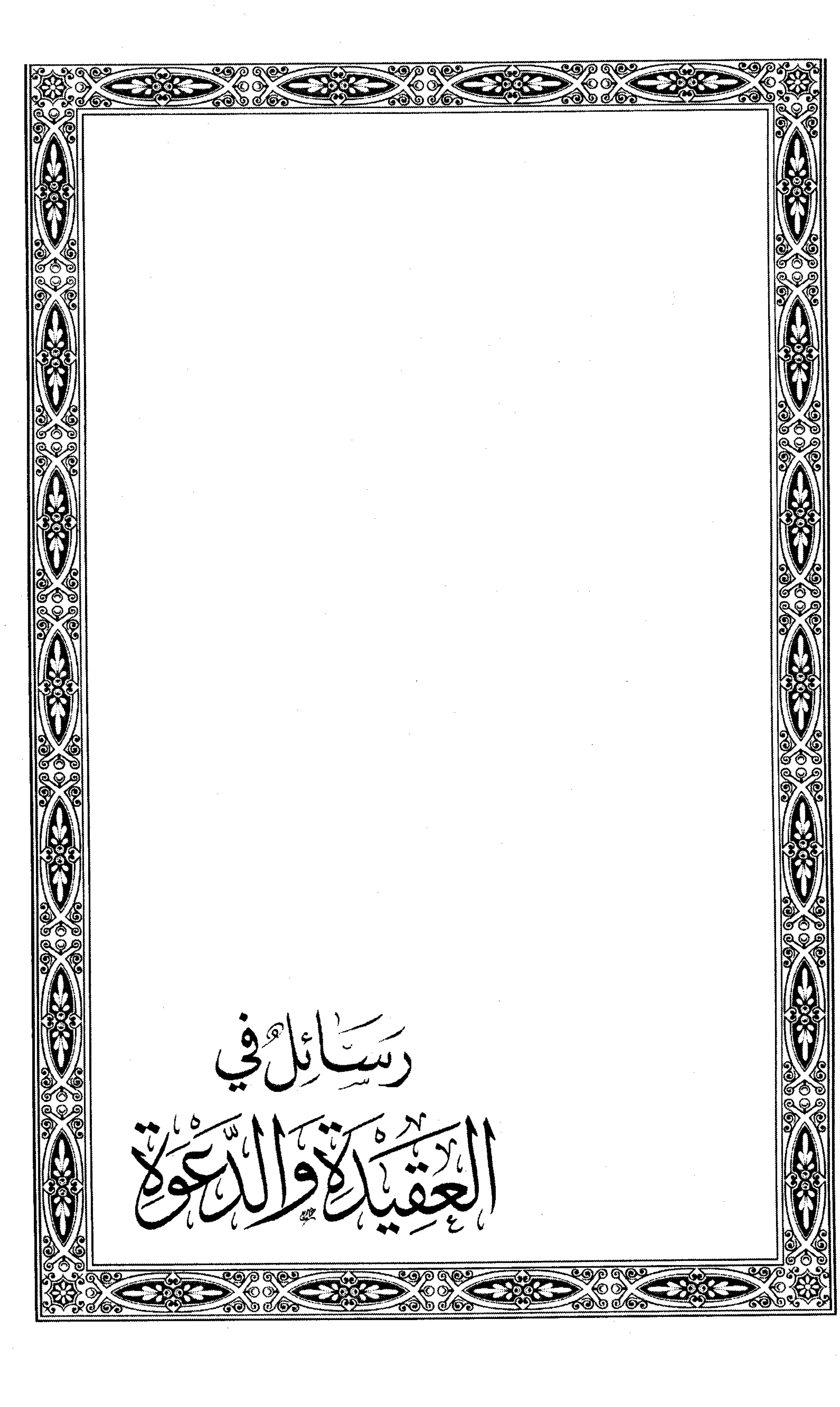
سائلاً المولى عز وجل لنا ولهم الإعانة والتوفيق لما يحبه ويرضاه.

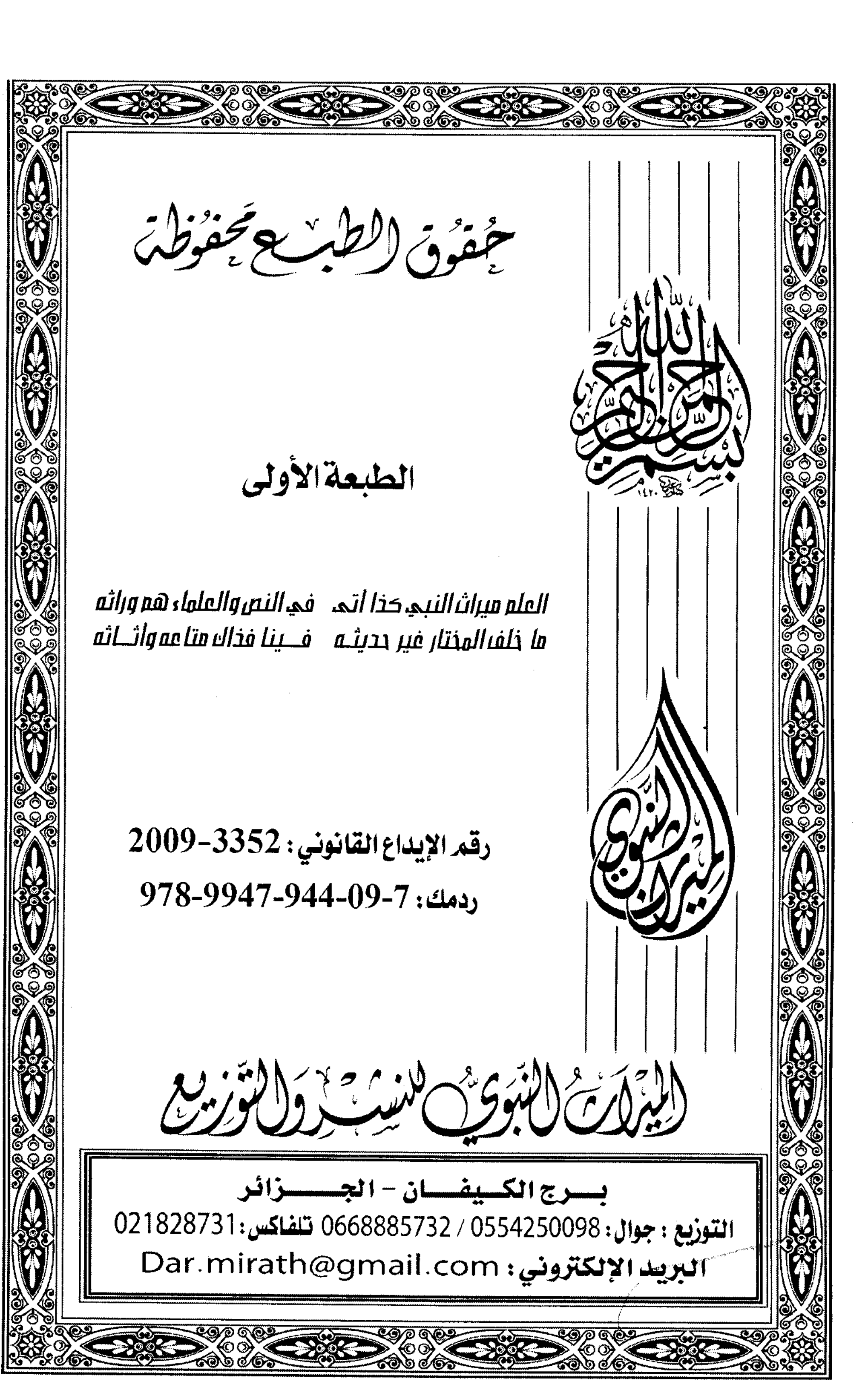
والله ولي التوفيق. وبناء على طلبهم حرر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
محمد بن عبد الله السبيل

١١/ ٧/ ١٤٣٠هـ


رسائل في
العقيدة والدعوة



الطبعة الأولى

العلم ميراث النبي كذا أتى في النص والعلماء هم وراثه
ما خلف المختار غير حديثه فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 2009-3352
ردمك: 978-9947-944-09-7

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

برج الكيفان - الجزائر
التوزيع: جوال: 0554250098 / 0668885732 تلفاكس: 021828731
البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة في تفسير الأسماء والصفات

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وبعد:

فهذه رسالة موجزة في تفسير آيات الصفات علىٰ منهج السلف الصالح، القائم علىٰ إثبات الأسماء والصفات لله تعالىٰ التي أثبتها سبحانه لنفسه، أو أثبتها له رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، ولا تشبيه، والإيمان الكامل بأنه سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأن له ﷻ الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ علىٰ ما يليق بجلاله سبحانه.

وعلىٰ هذا كان أئمة السلف من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم حتىٰ ظهر المبتدعة، فحرفوا، وبدلوا، وشبهوا، وعطلوا، وظهر في ذلك طوائف متعددة.

وقد بين السلف الصالح -رضوان الله عليهم- الاعتقاد الصحيح، وصنفوا في ذلك المصنفات، منها:

كتاب السنن للالكائي، والإبانة لابن بطة، والسنة لأبي ذر الهروي، والأسماء والصفات للبيهقي، والسنة للطبراني ولأبي الشيخ الأصبهاني ولأبي عبد الله بن مندة، والسنة للخلال، والتوحيد لابن خزيمة، والسنة لعبد الله بن أحمد، والسنة لأبي بكر ابن الأثرم، والسنة لحنبل، وللمروزي، ولأبي داود السجستاني، ولابن أبي شيبة، والسنة لأبي بكر ابن أبي عاصم، وكتاب خلق أفعال العباد للبخاري، وكتاب الرد علىٰ الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر هذه المصنفات مبينًا أن أئمة الإسلام علىٰ هذا المعتقد، وأن كلامهم دال علىٰ هذا:

«وكلام الأئمة المشاهير مثل مالك، والثوري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وعبد الرحمن بن مهدي، ووكيع ابن الجراح، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيدة، وأئمة أصحاب مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، موجود كثير لا يحصيه أحد» اهـ.

وسلف الأمة وأئمتها متفقون علىٰ الإثبات، رادُّون علىٰ الواقفة والنفاة، مثل ما رواه البيهقي وغيره عن الأوزاعي قال: «كنا - والتابعون متوافرون - نقول: إن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته».

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث».

وقال نعيم بن حماد - شيخ البخاري -: «من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل؛لأنه سبحانه لا سَمِيَّ له، ولا كفء له، ولا ند له».

قال أبو داود الطيالسي: «كان سفيان وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة - لا يحدون ولا يشبِّهون ولا يمثلون، يروون الحديث ولا يقولون: كيف؟ وإذا سئلوا قالوا بالأثر».

وقال إسحاق بن راهويه: «من وصف الله بشيء فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم».

ومن كلام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفقه الأكبر: «لا يشبه شيئًا من خلقه. ثم قال بعد ذلك: وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرىٰ لا كرؤيتنا».

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لما سئل عن قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] **كيف استوىٰ؟ فقال:** «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

قال عبد الله بن نافع: «كان مالك بن أنس يقول: الله في السماء وعلمه في كل مكان».

وقال معدان: «سألت سفيان الثوري عن قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] قال: علمه».

وروىٰ الخلال بأسانيد - كلهم أئمة - عن سفيان بن عيينة قال: «سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوىٰ؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التصديق».

وروي عن أبي عيسىٰ الترمذي قال: «هو علىٰ العرش كما وصف في كتابه، وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان».

وأقوالهم -رحمهم الله- تعالىٰ- في هذا الباب كثيرة لا تكاد تحصىٰ.

ونذكر هنا الآيات التي فيها إثبات صفات الله تعالىٰ ونشرحها علىٰ منهج السلف الصالح -رضوان الله عليهم-:

فنقول وبالله التوفيق:

قوله سبحانه: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: أبدأ أي: أشرع باسم الله ذي

الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ كثير الرحمة بالمؤمنين في الآخرة. ففي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إثبات صفة الرحمة لله -جل وعلا- علىٰ ما يليق به ﷻ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

في أول الآية حث الله تعالىٰ عباده المؤمنين علىٰ الصدقة والإنفاق في وجوه الخير، ثم ذكر بعده الإحسان، وهو أعلىٰ مقامات الطاعة.

وفي هذه الآية وأمثالها دليل علىٰ أن المحبة صفة لله ﷻ كسائر صفاته، علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته. ومن ثمراتها الإنعام وإرادة الخير بالعباد المؤمنين به[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فيها إخبار عما وقع بين أتباع الرسل وبين من عاداهم من التنازع حسدًا وبغيًا، ومعناه لو شاء الله عدم اقتتالهم لم يقتتلوا؛ لأن كل ذلك عن قضاء الله وقدره، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه. فالمشيئة صفة من صفاته -جل وعلا-، وفي هذه الآية رد علىٰ من زعم أن الله شاء الإيمان من الكافر، والكافر شاء الكفر، فغلبت مشيئة الكافر علىٰ مشيئة الله، بل الله يفعل ما يريد، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن[٢].

---

(١) وقد وردت صفة المحبة الله -جل وعلا- في البقرة ١٩٠، ١٩٥، ٢٢٢، آل عمران ٣١، ٧٦، ١٣٤، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٩، المائدة ١٣، ٤٢، ٥٤، ٩٣، التوبة ٤، ٧، ١٠٨، وغيرها.

(٢) وردت صفة المشيئة في آيات كثير منها البقرة: ٢٠، ٧٠، ٢٢٠، ٢٥٣، ٢٥٥، النساء: ٩٠، المائدة: ٤٨، الأنعام: ٣٥، ٤١، ١٠٧، ١١٢، ١٣٨، الأعراف: ١٨٨، التوبة: ٢٨ وغيرها.

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق إلا الله ﴿ٱلۡحَيُّ﴾(١) أي: الدائم الباقي الذي لا سبيل للفناء عليه، ﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾(٢) أي: القائم بنفسه، المقيم لما سواه، فإن الحياة مستلزمة لصفات الكمال، والقيوم متضمن لكمال غناه وقدرته. ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾ وهي الوسن والنعاس ﴿وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ فإن النوم أقوىٰ من السنة، أي أنه تعالى لا يعتريه نقص، ولا غفلة، ولا ذهول، ولا يغيب عنه شيء، ولا تخفىٰ عليه خافية.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ أي: ليس لأحد أن يشفع عنده لعظمته وكبريائه إلَّا بأمره.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ أي: لا يحيط الخلق بشيء من علمه إلَّا بما شاء أن يعلمهم إياه ويطلعهم عليه.

﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ أي: ملأ وأحاط، والكرسي مخلوق عظيم، وهو موضع القدمين لله تعالى، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل: إنه العرش، والصحيح الأول. وتفسير الكرسي بالعلم ليس بصحيح.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ أي: لا يكرثه، ولا يثقله، ولا يعجزه حفظهما

---

(١) وردت صفة الحي لله تعالىٰ في البقرة: ٢٥٥، آل عمران: ٢، طه: ١١١، الفرقان: ٥٨، غافر: ٦٥.

(٢) وردت صفة القيوم لله تعالىٰ في البقرة: ٢٥٥، آل عمران: ٢، طه: ١١١.

أي: حفظ السماوات والأرض وما بينهما، بل ذلك عليه سهل لكمال قدرته.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ[1] ٱلْعَظِيمُ[2]﴾ له ﷻ العلو المطلق من جميع الوجوه: علو القدرة وعلو القهر، وعلو الذات، فهو قاهر لكل شيء، قادر عليه، متصرف فيه، ومنزه من كل نقص وعيب. ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي لا أعظم منه ولا أجل، لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته وأفعاله.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[3] [آل عمران: ٥٤].

﴿وَمَكَرُواْ﴾ أي: كفار بني إسرائيل حين أرادوا قتل عيسىٰ عليه السلام وصلبه، والمكر: فعل شيء يراد به ضده ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ أي: جازاهم علىٰ مكرهم بأن رفع عيسىٰ عليه السلام إلىٰ السماء، وألقىٰ شبهه علىٰ شخص آخر حتىٰ قتل. ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أي: أقواهم، وأقدرهم علىٰ العقاب، من حيث لا يشعر المعاقب.

والمكر ينقسم إلىٰ قسمين: محمود ومذموم، فإن حقيقته إظهار أمر وإخفاء خلافه؛ ليتوصل به إلىٰ مراده، ومكر الله ﷻ بأهل المكر جزاء لهم من جنس عملهم، والمكر وما أشبه ذلك مثل الكيد والخداع لم يصف الله به نفسه إلَّا مقرونًا بفعل العباد من مكر وكيد وخداع.

---

(١) وردت صفة العلو لله تعالىٰ في البقرة: ٢٢٥، النساء: ٣٤، الحج: ٦٢، لقمان: ٣٠، سبأ: ٢٣، الغافر: ١٢، الشورىٰ: ٤، ٥١، الزخرف: ٤، الأعلىٰ: ١، الليل: ٢٠.

(٢) وردت صفة العظيم لله تعالىٰ في البقرة: ٢٥٥، الشورىٰ: ٤، الواقعة: ٧٤، ٩٦، الحاقة: ٣٣، ٥٢.

(٣) وردت كلمة المكر منسوبة إلىٰ الله سبحانه في آل عمران: ٥٤، الأنفال: ٣٠، الرعد: ٤٢، النمل: ٥٠، الأعراف: ٩٩، يونس: ٢١، فهو بين قدرته علىٰ معاملتهم فعلهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [1] [الطارق: ١٥-١٦]. أي: أن كفار قريش يكيدون كيدًا، ويدبرون في شأن رسول الله ﷺ الأضرار وإبطال أمره، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أي: أجازيهم علىٰ كيدهم باستدراجهم، وإملائهم، حتىٰ آخذهم علىٰ غرة، فإذا فعل ذلك أعداء الله بأوليائه، كان كيد الله لهم حسنًا لا قبح فيه، لمجازاتهم بمثل فعلهم، والجزاء من جنس العمل.

وقد سبق أن الله ﷻ لم يصف بالكيد والمكر والخداع نفسه إلَّا مقرونًا بفعل العباد من مكر وكيد وخداع؛ مجازاة لهم بجنس عملهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣].

ذكر الله ﷻ في أول الآية عظم ذنب قتل المؤمن، ثم أخبر عن غضبه علىٰ القاتل، أي أن من فعل ذلك يغضب الله عليه، ﴿وَلَعَنَهُۥ﴾ أي: طرده من رحمته.

ففي هذه الآية إثبات صفة الغضب لله ﷻ[2]، وأنه ﷻ يغضب ويرضىٰ كما يليق بجلاله وعظمته.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

أي: خص الله نبيه موسىٰ عليه السلام بالكلام[3] معه تشريفًا له، كما في قوله

---

(١) وردت كلمة الكيد منسوبة [illegible] الله تعالىٰ في الأعراف: ١٨٣، يوسف: ٧٦، القلم: ٤٥، الطارق: ١٦.

(٢) وردت صفة الغضب لله تعالىٰ في البقرة: ٦١، آل عمران: ١١٢، النساء: ٩٣، المائدة: ٦٠، الأعراف: ٧١، الأنفال: ١٦، النحل: ١٠٦، طه: ٨١، ٨٦، النور: ٩، الشورىٰ: ١٦، ٣٧، الفتح: ٦، المجادلة: ١٤، الممتحنة: ١٣.

(٣) وردت صفة الكلام لله تعالىٰ في البقرة: ١٧٤، ٢٥٣، آل عمران: ٧٧، الأعراف: ١٤٣، الشورىٰ: ٥١، التوبة: ٦، الفتح: ١٥.



تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وهذا الكلام أخص من مطلق الوحي؛ لأن التأكيد بالمصدر بعده يرفع توهم الإلهام والإشارة غير الكلام الحقيقي، فوجب أن نؤمن بأن الكلام صفة من صفات الله ﷻ، ولم يزل متكلمًا إذا شاء وكيف يشاء ومتىٰ شاء كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠].

أي: اذكر يا محمد إذ نادىٰ ربك موسىٰ بصوته وناجاه حقيقة من وراء حجاب، وبلا واسطة أو وحي، أن ائت قوم فرعون وادعهم إلىٰ الصراط المستقيم. ففيها إثبات صفة الكلام والنداء للباري -جل وعلا- لمن يشاءه من عباده.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

أي: وإن طلب منك يا محمد أحد من المشركين الأمن فأمنه حتىٰ يسمع كلام الله وهو القرآن. ففي هذه الآية الكريمة دليل علىٰ أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، نزله علىٰ نبينا محمد ﷺ. منه بدأ وإليه يعود، وأن الكلام صفة من صفات الله، تكلم به ﷻ حقيقة، وبلغه عنه جبريل إلىٰ نبينا محمد ﷺ.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

أي: أبغض الله خروجهم معكم إلىٰ الغزو، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾أي: كسلهم عن الخروج للغزو قضاء وقدرًا، وإن كان قد أمرهم بالغزو شرعًا، وأقدرهم عليه، ولكن ما أراد إعانتهم، بل خذلهم لحكمة يعلمها ﷻ. ففي

هذه الآية إثبات صفة الكره لله -جل وعلا- علىٰ ما يليق بجلاله ﷻ.

وقوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

أي: جزاء الذين أحسنوا في أعمالهم الجنة، والنظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ. ومعنىٰ الزيادة: هو النظر إلىٰ وجه الله ﷻ، كما فسره الرسول ﷺ بها فيما رواه أحمد ومسلم وغيرهما، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ من النضارة، وهي الحسن والإضاءة، أي: وجوه المؤمنين يوم القيامة حسنة ومضيئة. ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ من النظر، أي: تنظر إلىٰ خالقها بالعين حقيقة، ففي هاتين الآيتين: أن الله -جل وعلا- يُرىٰ عيانًا بالأبصار يوم القيامة لعباده الصالحين، كما ثبت في الصحيحين عن المعصوم ﷺ بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، لا يضارون في رؤيته.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

أي: أن الله مع الذين تركوا المحرمات، وأتوا بالمأمورات، وأحسنوا في الطاعات، ينصرهم، ويؤيدهم، ويحفظهم من الأعداء.

فقد تضمنت هذه الآية إثبات صفة المعية(١) لله ﷻ، والمعية نوعان:

١ - **خاصة**: وهي معيته لرسله وأوليائه بالنصر والتأييد والتوفيق.

٢ - **عامة شاملة لجميع المخلوقات**، فهو ﷻ مع كل شيء بعلمه وقدرته وقهره وإحاطته، لا يغيب عنه شيء ولا يعجزه وهي المذكورة في

---

(١) وردت صفة المعية لله تعالىٰ في البقرة: ١٩٤، ٢٤٩، المائدة: ١٥، الأنفال: ٦٦، التوبة: ٣٦، ٤٠، ١٢٣، النحل: ١٢٨، العنكبوت: ٦٩، طه: ٤٦.

قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] أي: معكم بعلمه كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والضحاك وسفيان وأحمد -رحمهم الله-، رقيب عليكم، شهيد علىٰ أعمالكم حيثما كنتم، من بر أو بحر، في الليل أو النهار.

وقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦].

أي: هل تعلم له مساميًا ومشابهًا من المخلوقين، هذا الاستفهام بمعنىٰ النفي المعلوم بالعقل، أي: لا تعلم له مشابهًا؛ لأنه الرب وغيره المربوب، وهو الغني بذاته من جميع الوجوه وغيره الفقير، وهو الكامل وغيره ناقص، فهذا برهان قاطع علىٰ أنه هو المستحق للعبادة، وهذا النفي متضمن لإثبات جميع صفات الكمال علىٰ وجه الإجمال.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] (١).

أي: استوىٰ علىٰ العرش، استواء يليق بجلاله وعظمته، لا نكيفه، ولا نمثله، ولا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فقول الإمام مالك: **الاستواء معلوم**؛ أي: في لغة العرب. وقوله: **والكيف مجهول**؛ أي: كيفية استوائه لا يعلمه إلَّا هو، فكما أن له ذاتًا لا يعلم كيفيتها إلا هو، فكذلك جميع صفاته سبحانه لا يعلم حقيقتها إلَّا هو، من السمع، والبصر، والاستواء، والرضىٰ، والغضب، وغير ذلك.

فيجب علينا إثباتها كما أثبتها لنفسه سبحانه وكما أثبتها له أعلم الخلق به وهو نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما كيفيتها، فلا يعلمها إلَّا وهو، ليس كمثله شيء

---

(١) وقد ورد ذكر الاستواء علىٰ عرشه -جل وعلا- في مواضع: سورة الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، طه: ٥، الفرقان: ٥٩، الم السجدة: ٤، الحديد: ٤.

وهو السميع البصير.

وقال تعالىٰ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

﴿إِلَيۡهِ﴾ أي: إلىٰ الله ﷻ ﴿يَصۡعَدُ﴾ أي: يرتفع، والصعود هو الارتفاع، وقوله: ﴿ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعني الذكر والتلاوة والدعاء والعمل الصالح يرفعه، أي العمل الخالص الخالي من الرياء الموافق للسنة، يرفعه الله تعالىٰ إليه فيقبله.

ففي هذه الآية الكريمة إثبات صفة العلو لله ﷻ، حيث إن الصعود والرفع لا يكون إلا من الأسفل إلىٰ أعلىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

في هذه الآية الكريمة إثبات محبة الله ﷻ لنبيه موسىٰ وتحبيبه إياه لخلقه، وفيها عناية الله بعبده موسىٰ وتربيته علىٰ مرأىٰ منه.

ففيها إثبات العين لله ﷻ التي يرىٰ بها جميع المرئيات حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته -جل وعلا- فيجب علينا إثبات ما أثبته الباري لنفسه من صفات مع القطع واليقين بأنها لا تشبه حقائق المخلوقين.

وقال تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

قال ﷻ مخاطبًا لإبليس لما امتنع من السجود لآدم: أي شيء منعك أن تسجد سجود تعظيم لآدم الذي خلقته بيدي؟!

ففي هذه الآية إثبات اليدين[١] لله ﷻ حقيقة علىٰ ما يليق بجلاله

---

(١) وردت صفة اليد لله تعالىٰ في آل عمران: ٢٦، ٧٣، المائدة: ٦٤، المؤمنون: ٨٨، يس: ٨٣، الفتح: ١٠، الحديد: ٢٩، الملك: ٧٦.

وعظمته. وكما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة ٦٤]. أي يداه -جل وعلا- مبسوطتان بالفضل والعطاء ينفق ربنا كيف يشاء ليلًا ونهارًا، فيجب علينا أن نؤمن بكل ما أثبته الله ﷻ لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: ٢٨].

ذكر في أول الآية ضرب الملائكة للكفار في وجوههم وأدبارهم ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ..﴾ الآية، أي ذلك الضرب والقبض لأرواحهم بهذه الشدة بسبب اتباعهم ما يسخط الله من الكفر وعداوة الرسول، وبسبب كراهيتهم ما يرضيه من الإيمان والعمل الصالح.

ففي هذه الآية الكريمة إثبات صفة السخط [١]والرضا لله ﷻ، فهو سبحانه يسخط ويرضىٰ حقيقة.

وقوله تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

فيها إخبار من الله -جل وعلا- عن رضاه عن المؤمنين، ورضاهم عنه، ففي هذه بيان صفة الرضا[٢] لله سبحانه علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته، فرضاه عنهم هو أعظم وأجل من كل ما أعطوا من النعم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] ورضاهم عنه هو رضا كل منهم

---

(١) وردت صفة السخط لله تعالىٰ في آل عمران: ١٦٢، المائدة: ١٠، محمد: ٢٨.

(٢) وردت صفة الرضا لله تعالىٰ في البقرة: ٢٠٧، ٢٦٥، آل عمران: ١٥، ١٦٢، ١٧٤، النساء: ١٠٨، ١١٤، المائدة: ١١٩، ٣٠٢، التوبة ٢١، ٧٢، ٩٦، ١٠٠، ١٠٩، النمل: ١٩، طه: ٨٤، ١٠٩، الأنبياء: ٢٨، النور: ٥٥، الزمر: ٧، محمد: ٢٨، الأحقاف: ١٥، الفتح: ١٨، الحديد: ٢٠، ٢٧، المجادلة: ٢٤، الممتحنة: ١.

بمنزلته وسروره بها حتىٰ يظن أنه لم يؤت أحد أفضل مما أوتي.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

ذكر الله ﷻ قبل ذلك فناء جميع المخلوقات، ثم بين أنه يبقىٰ وجهه الكريم ذو العظمة والكبرياء، ذو الإكرام: أي: المكرم لأنبيائه وعباده الصالحين، وفناء الخليقة كلها وبقاء الخالق دليل علىٰ كمال قدرته.

ففي هذه الآية إثبات صفة الوجه لله ﷻ كما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل.

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

أي: هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، كما ورد تفسير هذه الأسماء الحسنىٰ بما ذكر عن النبي ﷺ فيما رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

أوحىٰ الله إلىٰ نبيه محمد ﷺ أنه سمع قول المرأة التي جاءت تجادل في شأن زوجها حين ظاهر منها، وتشتكي سوء حالها، وما بها من المكروه، وضياع العيال، والفاقة والجهد، ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ أي مراجعتكما الكلام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ أي: أحاط سمعه بجميع المسموعات والأصوات، وبصره بجميع المبصرات.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨].

أي: يبصرك وينظر إليك، لا تخفىٰ عليه خافية، فتوكل عليه، فإنه سيحفظك وينصرك. وقوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ أي: يراك حين تقوم للصلاة وغيرها ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ من قيام وقعود وركوع وسجود مع المصلين.

ففي هذه الآيات الكريمات إثبات صفة السمع لله ﷻ، وأنه أحاط سمعه جميع المسموعات والأصوات سرها وعلانيتها، كما أن فيها إثبات صفة البصر التي يدرك بها المبصرات بجميع أنواعها، فيجب الإيمان بها من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما يليق بجلاله وعظمته ﷻ (١).

وقوله تعالىٰ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٣].

أي: عظم غضب الله وبغضه علىٰ أن تقولوا شيئًا بأفواهكم، ولا تعملوا به. والمقت أشد البغض، ففيها إثبات صفة المقت (٢) لله ﷻ، كما يليق بجلاله وعظمته.

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

أي: هو ﷻ كثير الغفران، يغفر ذنب من تاب إليه وخضع له، مهما عظم ذنبه. ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ كثير المودة والحب، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الحبيب، فهو سبحانه وادٌّ لأوليائه، ومودود لهم، ففي هذه الآية بيان صفة

---

(١) ورد إثبات صفة السمع والبصر لله ﷻ في آيات كثيرة منها: في النساء: ٥٨، ١٣٤، الإسراء: ١، طه: ٤٦، الحج: ٦١، ٧٥، لقمان: ٢٨، غافر: ٢٠، ٥٦، المجادلة: ١، الإنسان: ٢.

(٢) ورد إثبات صفة المقت في كتاب الله في: الصف: ٣، غافر: ١٠، ٣٥.

الود [١] لله تعالىٰ، كما يليق بجلاله ﷻ.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢].

أي: جاء الله لفصل القضاء بين عباده ﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾ أي جنس الملائكة يأتون ﴿صَفّٗا صَفّٗا﴾ يصفون صفًّا بعد صف.

وكما قال تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[البقرة: ٢١٠]. أي: هل ينتظر الكفار إلَّا أن يأتيهم -أي لفصل القضاء بين الأولين والآخرين- فيجزي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر ﴿فِي ظُلَلٖ﴾ أي السحاب الأبيض الرقيق، سمي غمامًا؛ لأنه يغم أي: يستر. ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي تأتي الملائكة في ظلل من الغمام. ففي هاتين الآيتين إثبات مجيء الله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وقد ورد هذا في صحيح السنة أيضًا كثيرًا، وتأويله بمجيء الأمر خلاف لمذهب السلف، فيجب علينا أن نؤمن بمجيئه سبحانه، من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [النحل: ١٢٨].

﴿ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ أي: الأشباه؛ أي: فلا تُشبِّهوه بخلقه، وتجعلوا له شريكًا، فإن الله ﷻ لا مثل له ولا ند له، لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وضرب المثل هو تشبيه حال بحال، فلا يمثل ﷻ بخلقه، ولا يشبه بهم في أي حال؛ لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١].

أي: أن الله ﷻ لا مثيل له في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله،

---

(١) وردت صفة الود لله تعالىٰ في: هود: ٩٠، والبروج: ١٤.



ففي قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد علىٰ المجسمة والمشبهة والذين يصفونه سبحانه بصفات خلقه.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد علىٰ الذين ينفون صفات الله ويتأولونها. فمذهب أهل السنة والجماعة وطريقة سلف هذه الأمة إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، فهو سبحانه يسمع بسمع علىٰ ما يليق بجلاله، ويبصر ببصر علىٰ ما يليق بجلاله مع القطع بأن صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، فكما أن له ذاتًا لا تشبه ذوات المخلوقين، فكذلك له صفات لا تشبه صفات المخلوقين.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص].

والمعنىٰ: قل قولًا جازمًا معتقدًا له عارفا بمعناه ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الأحد المنفرد بالكمال الذي له الأسماء الحسنىٰ، والصفات العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له، ولا مثيل. ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ المقصود الذي يصمد إليه، ويقصده جميع الخلق في طلب الحوائج. ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غنائه. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي مثيلًا لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله. وقد تضمنت هذه السورة توحيد الأسماء والصفات.

هذا آخر ما قصدنا بيانه في هذه المسألة، وما بينه علماء الإسلام من السلف الصالح ومن سار علىٰ نهجهم في هذا الأمر، والله أعلم.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أنواع التوحيد

سائل يقول:

ما هي أنواع التوحيد؟

الجواب:

قسم العلماء -رحمهم الله- تعالىٰ التوحيد إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية: ومعناه أن توحد الله ﷻ بأفعاله هو، فهو خالق السموات والأرضين، وهو خالق الخلق، وهو الرازق، هذه أفعاله هو ﷻ فتوحد الله بأنه هو الواحد المتصرف في هذه الأمور، لا يخلق إلا الله، ولا يرزق إلا الله، والأمر كله بيد الله، وسمي بتوحيد الربوبية لأنه ﷻ الرب، فهو المربي، وهو الخالق الذي خلق عباده ورباهم بأصناف النعم.

القسم الثاني: توحيد العبادة أو توحيد العبودية ويسمىٰ أيضًا بتوحيد الألوهية: وهو الذي يتعلق بك أنت أيها العبد، ومعناه أن توحد الله بأفعالك أنت، فالصلاة صادرة منك، تصليها لله، فلا تصلي لله وتصلي لغيره، بل توحد الله بها، فلا تصلي إلا له سبحانه، ولا تعبد إلا الله، ولا تدعو إلا الله، ولا تسأل إلا الله، ولا تتوكل إلا علىٰ الله، ولا تستغيث إلا بالله، ولا تستعين إلا به ﷻ. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات: فالله ﷻ له أسماء وله صفات، فتوحد الله بها، فلا تجعل بعض صفات الله صفة لخلقه، فهذا من الإلحاد، فالله سبحانه يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، مثل ما كان أهل الجاهلية يفعلون،

فقد اشتقوا اسم(مناة) الوثن الذي كانوا يعبدونه من دون الله من اسم الله المنان، فالمنان هو الله ﷻ الذي يمن علىٰ خلقه ويخلقهم ويرزقهم. واشتقوا اسم (العزىٰ) الصنم الذي كانوا يعبدونه من اسم الله العزيز، فهذا من الإلحاد في أسماء الله.

وصفاته ﷻ هي أسماء له، فتصفه بالرحمة، والله أعلم كيفية هذه الرحمة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، لكن ما هي الرحمة وهل تشبه رحمة الخلق؟ حاشا وكلا، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فله رحمة تخصه ﷻ. فالواجب علىٰ المؤمن أن يثبت لله ﷻ ما أثبته لنفسه من أسمائه وصفاته، وكذا ما أثبته له رسوله ﷺ دون تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. والله أعلم.

معنى توحيد الأسماء والصفات

سائل يقول:

ما معنىٰ توحيد الأسماء والصفات؟

الجواب:

توحيد الأسماء والصفات هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة، وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. ومعنىٰ توحيد الأسماء والصفات هو أن تؤمن بكل اسم من أسماء الله تعالىٰ، أو صفة من صفاته، أثبته الله -جل وعلا- لنفسه في كتابه، أو أثبتها له رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

فيؤمن العبد بأن الله -جل وعلا- هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، ويؤمن بأنه يعجب سبحانه، ويغضب -جل وعلا-، ويرضىٰ -تبارك وتعالىٰ-، وغير ذلك من صفاته سبحانه.

كما أن الواجب علىٰ المسلم أن يثبت الوجه واليد لله -جل وعلا- علىٰ ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه، صفات لا تشابه صفات المخلوقين، فلا تشبيه ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف، وصفات الرب -جل وعلا- كلها صفات كمال، ولا ينبغي للعبد أن يتكلف البحث عن شيء زائد لم يرد في الكتاب ولا في السنة، بل إن ذلك بدعة، وهذا هو منهج السلف الصالح -رضوان الله عليهم-، فقد سئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن معنىٰ الاستواء، فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وكثير من الفرق التي ضلت في هذا الباب كان بسبب تركهم لهذا الأصل العظيم، وهو التسليم التام والإيمان الكامل بكل ما أثبته الله -جل وعلا- لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، كما جاء في النصوص، وترك البحث فيما وراء ذلك. وبالله التوفيق.

رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ في الآخرة

سائل يقول:

يستدل بعض الناس علىٰ عدم رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ في الآخرة بقوله تعالىٰ مخاطبًا موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] كيف نرد عليهم من الكتاب والسنة؟

الجواب:

خطاب الله هذا لموسىٰ عليه السلام كان في الدنيا، وحالة الدنيا غير حالة الآخرة، فالله تعالى قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ فلا يستطيع أحد أن يراه في الدنيا، ولذلك أجمع العلماء -رحمهم الله- تعالىٰ بأن الله لا يُرىٰ في الدنيا، أما في الآخرة فإن الله تعالى يُرىٰ، لقوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالحسنىٰ: هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلىٰ وجه الله الكريم في الجنة.

وقال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

ولما رواه جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: «كنا جلوسًا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلىٰ القمر ليلة البدر، قال: **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته**» رواه البخاري. فهذا نص واضح، وفي رواية أخرىٰ: «**إنكم سترون ربكم عيانًا**» رواه البخاري.

ثم إن الله تعالى امتن علىٰ المؤمنين بهذه الرؤية، وأخبر عن الكفار أنهم محجوبون عنها، فقال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

أما أهل الجنة - نسأل الله الكريم أن نكون منهم - فهم ينظرون إلىٰ الله تعالى، ولا يعطون نعيمًا أفضل من النظر إلىٰ وجهه الكريم تعالى.

فخبر موسىٰ هذا في حالة الدنيا، وحالة الدنيا تختلف عن حالة الآخرة، وحالات الناس في الآخرة من التحمل غير حالاتهم في الدنيا، والله تعالى أعلم.

مذهب أهل السنة في الأسماء والصفات

سائل يقول:

ما هو مذهب أهل السنة في الأسماء والصفات؟

الجواب:

مذهب أهل السنة والجماعة أن صفات الله ﷻ تمر كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فمثلًا هؤلاء الذين يقولون في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] يقولون: إنه استولىٰ، قصدهم نفي الاستواء علىٰ العرش، والذين يقولون: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، يقولون: اليد المراد بها القوة، وهذا تحريف لكلام الله. فأهل السنة والجماعة يمرون صفات الله التي وردت في الآيات والأحاديث مثل اليد والقدم والساق والعين والوجه، فكل هذه الصفات يؤمنون بها كما جاءت، ولا يفسرونها، ولا يؤولونها، وإنما يثبتونها علىٰ ما يليق بجلال الله سبحانه، وهي صفات كمال لا تشابه صفات المخلوقين، ويقولون فيها كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الاستواء: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». وبالله التوفيق.

معنى الاستواء

سائل يقول:

قرأت في أحد الكتب الإسلامية الآية ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، تفسير هذه الآية: استواء يليق بعظمته وجلالته من غير ملامسة

ولا جلوس فما رأي فضيلتكم في هذا التفسير؟

الجواب:

يخبر الله -جل وعلا- في هذه الآية أنه استوىٰ علىٰ عرشه، واستواء الرحمن علىٰ عرشه معلوم، وهذا من صفة الله، وصفات الله نؤمن بها ونمرها كما جاءت، ولا يعلم كيفية هذا الاستواء إلا الله ﷻ، فنرد العلم إلىٰ عالمه وهو الله ﷻ، وهذه قاعدة في صفاته ﷻ، ونؤمن بها كما جاءت عن الله، كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: آمنت بالله وبما جاء عن الله علىٰ منهج الله، وآمنت برسول الله، وما جاء عن رسول الله علىٰ مراد رسول الله ﷺ.

زيادة مثل هذه الكلمة (مماسة) أو غير ذلك، فهذا ما تعبدنا الله بها، ولا ينبغي لنا أن نقوله، ولا نتكلم به، وقد قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سأله رجل: ما معنىٰ استوىٰ؟ قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم قال ما أراك إلا صاحب بدعة أخرجوه من مجلسي. وقد سبق الإمام مالك بهذا أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا حيث قالت: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

فقوله سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، نمرها كما جاءت، ونعلم أن هذا حق، وأنه علىٰ حقيقته، لكن كيفية اليد أو الوجه أو كيفية الاستواء هذا علمه إلىٰ الله، فلا ينبغي أن نخوض في هذه الأمور ولا يخوض في هذا إلا المبتدعة كمثل تأويل استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ، فهذا تأويل باطل وتحريف لكتاب الله ﷻ، ولهذا يجب علينا السمع والطاعة والإيمان بما جاء عن الله والكيفية لا يعلمها إلا الله ﷻ. والله أعلم.

معنى حديث
«إن لله تسعة وتسعين اسمًا»

سائل يقول:

ما معنىٰ قول الرسول ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»؟ وهل معنىٰ «أحصاها» يعني حفظها غيبًا؟

الجواب:

هذا الحديث ثابت في الصحيحين، واختلف العلماء في معناه، فمنهم من قال: إن معنىٰ (أحصاها) أي: حفظها، وهذا المعنىٰ ثبت في الرواية الأخرىٰ في الصحيح (من حفظها دخل الجنة).

ومن العلماء من قال: إن المراد بالحفظ الحفظ الحقيقي، والحفظ المعنوي، فيشمل حفظ الأسماء، واستحضارها، ويشمل أيضًا الحفظ المعنوي، والذي يعني العمل بما تدل عليه من معان عظيمة، فإذا علم أن الله هو الخالق أفرده سبحانه بالعبادة، وإذا علم أنه سبحانه الرزاق الكريم لم يسأل غيره سبحانه، ولم يطلب الحوائج من غيره ﷻ. وهكذا في بقية الأسماء.

وعلىٰ الأخ السائل أن يعلم أن هذه الأسماء لم يرد في تعيينها حديث صحيح، وإنما هو اجتهاد من بعض الرواة، وإلا فإن أسماء الله -جل وعلا- أكثر من ذلك، وقد قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] ومن أسماء الله ما ثبت في القرآن ومنها ما ثبت في السنة، ومنها ما استأثر الله بعلمه، وقد كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**» رواه أحمد وغيره. وبالله التوفيق.

أسماء الله الحسنى

المكرم الأخ / ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقيت خطابكم المتضمن سؤالكم عن وجود اسم (يا حنان) علىٰ كسوة الكعبة المشرفة، مع أن هذا الاسم كما تقولون ليس من أسماء الله ﷻ، وأنه قد ورد عند البخاري «إن لله تسعة وتسعين اسمًا»، وهذا الاسم لا يوجد في تلك الأسماء المذكورة في الحديث؟

وإجابة علىٰ سؤالكم، نقول وبالله التوفيق:

أولًا: أنه ورد في هذا الاسم عدة أحاديث:

أ - منها حديث رواه ابن حبان في صحيحه ٣/ ١٧٥ برقم ٨٩٣ وأحمد في مسنده ٣/ ١٥٨ عن أنس ﵁ قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا في الحلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع سجد وتشهد دعا، فقال في دعائه: «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام..**» إلخ. وقد أخرجه غيرهما دون لفظ الحنان: فأخرجه النسائي ٣/ ٥٢، وأحمد ٣/ ٢٤٥، وأبو داود ١٤٩٥، والبخاري في الأدب المفرد ٧٠٥، والبغوي في شرح السنة ١٢٥٨، والحاكم في المستدرك١/ ٥٠٣-٥٠٤، وابن أبي شيبة ١٠/ ٢٧٢، وابن ماجه ٣٨٥٨، والترمذي ٣٥٤٤.

ب - حديث آخر لأنس ﵁ عند أحمد في المسند ٣/ ٢٣٠ ولفظه: «**إن عبدًا في جهنم لينادي ألف سنة يا حنان يا منان..**» إلخ، ورواه الطبراني في معجمه الأوسط برقم (٤١٥٤) عن أبي هريرة ﵁ ولفظه: «**ينادي مناد**

في النار يا حنان يا منان...» إلخ، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩، ورواه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص ١٠٥ عن أبي ذر رضي الله عنه ولفظه: «**فلان في النار ينادي يا حنان يا منان..**» إلخ.

ج - قد يستدل أيضًا بحديث الشفاعة الطويل الذي يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**يوضع الصراط بين ظهري جهنم عليه حسك... ثم يتحنن الله تعالىٰ برحمته علىٰ من فيها..**» إلخ. رواه أحمد في مسنده برقم (١١٠٨١)، والطبري في التفسير ١٦/ ١١٣، وابن خزيمة في التوحيد ص ٣٢٥-٣٢٦، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٣/ ١٧٦-١٧٧، وابن ماجه مختصرًا (٤٢٨٠) والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٨٥-٥٨٦ وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه.

وقال الإمام ابن القيم في النونية في فصل في النوع الثاني من النوع الأول، وهو الثبوت:

هذا ومن توحيدهم إثبات أوصـ ـاف الكمال لربنا الرحمن

إلىٰ أن قال:

حي مريد قادر متكلم ذو رحمة وإرادة وحنان

ثم قال الشيخ الهراس في شرحه لها ٢/ ٦٢: (تضمنت هذه الأبيات جملة من الأسماء الحسنىٰ الدالة علىٰ ما اشتملت عليه من صفات الكمال.. إلىٰ أن قال: وهو ذو حنان، بمعنىٰ شفقة عظيمة علىٰ خلقه، ورأفة بالغة بهم تقتضي كمال بره وجوده..).

ثانيًا: نص عدد من الأئمة المعتبرين والمحدثين المشهورين علىٰ أنه من الأسماء الحسنىٰ:

أ - **قال الإمام البغوي في شرح السنة ٥/ ٣٥ بعد أن ذكر حديث الترمذي (إن لله تسعة وتسعين اسمًا.. إلخ)** قال: ولله ﷻ أسماء سوىٰ هذه الأسامي أتىٰ بها الكتاب والسنة منها: الرب والمولىٰ.. والحنَّان والمنَّان.. إلخ).

ب - **قال الإمام ابن حجر في فتح الباري ١١/ ٢١٦ بعد أن ذكر حديث الترمذي - المشار إليه آنفًا - وخلاف العلماء في صحة رفعه، وأطال الكلام في ذلك، قال:** (فوقع فيها بما في رواية موسىٰ بن عقبة المذكور آنفًا ثمانية عشر اسمًا علىٰ الولاء، وفيها أيضًا: الحنَّان، المنَّان، الجليل.. إلخ).

ج - **قال الإمام ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٥٣:** (ومن أسماء الله تعالىٰ: الحنَّان، هو بتشديد النون، الرحيم بعباده، فعال من الرحمة للمبالغة).

د - **وكذا قال نحوه في مجمع بحار الأنوار ١/ ٥٩٥.**

ثالثًا: أن هذا الحديث «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة..**» لم يورد فيه البخاري الأسماء كما ذكرتَ، بل من رواية أصحاب السنن، وقد ضعف العلماء الزيادة التي فيها تفصيل هذه الأسماء (الله. الرحمن. الرحيم. الملك. القدوس....الخ) وذكروا أن هذه زيادة مدرجة ضعيفة، وممن ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية كما سيأتي.

رابعًا: سئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الفتاوىٰ ٢٢/ ٤٨١-٤٨٦ عمن قال: لا يجوز الدعاء إلا بالتسعة والتسعين اسمًا، ولا يقول: يا حنان يا منان، ولا يقول: يا دليل الحائرين، فهل له أن يقول ذلك؟

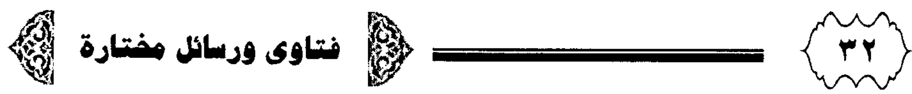
فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ إجابة شافية في ذلك، فقال:

(هذا القول وإن كان قد قاله طائفة من المتأخرين كأبي محمد ابن حزم وغيره؛ فإن جمهور العلماء علىٰ خلافه، وعلىٰ ذلك مضىٰ سلف الأمة وأئمتها، وهو الصواب لوجوه:

أحدها: أن التسعة والتسعين اسمًا لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي حمزة، وحفاظ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث ثان أضعف من هذا، رواه ابن ماجه، وقد روي في عددها غير هذين النوعين من جمع بعض السلف.

وهذا القائل الذي حصر أسماء الله في تسعة وتسعين لم يمكنه استخراجها من القرآن، وإذا لم يقم علىٰ تعيينها دليل يجب القول به لم يمكن أن يقال هي التي يجوز الدعاء بها دون غيرها؛ لأنه لا سبيل إلىٰ تمييز المأمور من المحظور، فكل اسم يجهل حاله يمكن أن يكون من المأمور، ويمكن أن يكون من المحظور، وإن قيل: لا تدعوا إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة، قيل: هذا أكثر من تسعة وتسعين.

الوجه الثاني: أنه إذا قيل تعيينها علىٰ ما في حديث الترمذي مثلًا، ففي الكتاب والسنة أسماء ليست في ذلك الحديث، مثل اسم (الرب) فإنه ليس في حديث الترمذي، وأكثر الدعاء المشروع إنما هو بهذا الاسم، كقول آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٨]، وقول نوح: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧]، وقول إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح: ٢٨]،



وقول موسىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، وقول المسيح: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤] وأمثال ذلك، حتىٰ إنه يذكر عن مالك وغيره أنهم كرهوا أن يقال: يا سيدي، بل يقال: يا رب؛ لأنه دعاء النبيين، وغيرهم، كما ذكر الله في القرآن.

وأيضًا فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله وتر يحب الوتر**» وليس هذا الاسم في هذه التسعة والتسعين، وثبت عنه في الصحيح أنه قال: «**إن الله جميل يحب الجمال**» وليس هو فيها، وفي الترمذي وغيره أنه قال: «**إن الله نظيف يحب النظافة**» وليس هذا فيها، وفي الصحيح عنه أنه قال: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**» وليس هذا فيها، وتتبع هذا يطول.

ولفظ التسعة والتسعين المشهورة عند الناس في الترمذي: الله. الرحمن. الرحيم. الملك. القدوس. السلام....

ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين اسمه: السبوح، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه كان يقول: (سبوح قدوس)، واسمه الشافي، كما ثبت في الصحيح أنه كان يقول: «**أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا**»، وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين، وليس من هذه التسعة والتسعين.

الوجه الثالث: ما احتج به الخطابي وغيره، وهو حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أصاب عبدًا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في**

قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، وشفاء صدري، وجلاء حزني، وذهاب غمي وهمي، إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحًا. قالوا: يا رسول الله، أفلا نتعلمهن؟ قال: بلىٰ ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن» رواه الإمام أحمد في المسند، وأبو حاتم ابن حبان في صحيحه.

قال الخطابي وغيره: فهذا يدل علىٰ أن له أسماء استأثر بها، وذلك يدل علىٰ أن قوله: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة» أن في أسمائه تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة، كما يقول القائل: إن لي ألف درهم أعددتها للصدقة، وإن كان ماله أكثر من ذلك.

والله في القرآن قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فأمر أن يدعىٰ بأسمائه الحسنىٰ مطلقًا، ولم يقل: ليست أسمائه الحسنىٰ إلا تسعة وتسعين اسمًا، والحديث قد سلم معناه، والله أعلم) اهـ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذا وأسأل الله عَجَّلَ أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه وأن ينفعنا بما علمنا.

وتقبلوا تحياتنا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❁ ❁ ❁

رسالة في
التحذير من القاديانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد رغب إلينا بعض الإخوة الدعاة المشاركين في مؤتمر ختم النبوة المنعقد في لندن في ٢٤/ ٦/ ١٤٢٦هـ الموافق ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٥م أن نكتب لهم وسائر إخواننا الدعاة وعموم المسلمين كلمة في التحذير من فرقة القاديانية بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر، فنقول وبالله التوفيق:

إن فرقة القاديانية فرقة ضالة، خارجة عن دين الإسلام، أسسها المدعو (غلام أحمد مرزا) المولود في بلدة (قاديان) بالهند، وظهرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وانتشرت في عدد من دول العالم بدعم وحماية من الاستعمار البريطاني خاصة، والغربي عامة الذي يسعىٰ إلىٰ إضعاف المسلمين، وبث الفرقة بينهم، وصدهم عن حقيقة هذا الدين وما يدعو إليه.

وإن من أخطر مبادئ هذه الفرقة ومعتقداتها: أن زعيمها يدعي النبوة، وأنه يوحىٰ إليه، وينكر معجزات الأنبياء، ويكذب بالقرآن العظيم، ويوالي الكفار، ويعادي أهل الإسلام، ويزعم أن الجهاد منسوخ، وغير ذلك من المعتقدات الفاسدة التي تخالف نصوص الوحيين.

وإن هذه المعتقدات والأقوال توجب القول بكفرهم وضلالهم وخروجهم عن دائرة الإسلام؛ لأن في أقوالهم تكذيبًا بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، فإن الله ﷻ يقول: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن

﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، والنبي ﷺ يقول: «**إن مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنىٰ بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**» متفق عليه.

وكيف يسوغ لمن يدعي أنه من أهل الإسلام أن يكذِّب ما حكاه القرآن من معجزات الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم-، أو كيف له أن يوالي أهل الكفر، ويحبهم، ويمنع الجهاد ضدهم، ويقدمهم علىٰ أهل الإسلام، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

ولقد نبه علماء المسلمين في عدد من دول العالم الإسلامي إلىٰ خطر هذه الفرقة، وخروجها عن دائرة المسلمين، ووجوب مجاهدتها، وقطع دابرها.

فقد أصدرت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة قرارها بذلك عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، وكذا المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، وهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، وأصدرت المحكمة الشرعية الفيدرالية بجمهورية باكستان الإسلامية قرارها بذلك عام ١٩٨٤م، وغير ذلك من القرارات والفتاوىٰ.

وإن الواجب علىٰ الحكومات الإسلامية، والدعاة، وعموم المسلمين، أن يحذروا من هذه الفرقة، ويظهروا حقيقتها للناس، ويبينوا خروجها عن دائرة الإسلام، وأن يسعوا إلىٰ كل ما من شأنه استئصالها، وكشف زيفها، وإبطال أنشطتها، وإظهار زيغها.

وإننا لنشكر لإخواننا القائمين علىٰ هذا المؤتمر جهودهم في التحذير

من هذه الفرقة، ونوصيهم وسائر إخواننا الدعاة بتقوىٰ الله ﷻ، والحرص علىٰ جمع الكلمة ضد أعداء هذا الدين.

وفي الختام أسأل الله -جل وعلا- أن يكلل جهودكم بالتوفيق والسداد، وأن يجزيكم خير الجزاء علىٰ ما تبذلونه في نصرة هذا الدين، ورفع رايته، إنه جواد كريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

حكم الزواج بامرأة قاديانية

سائل يقول:

ما تقولون في زيد الذي نكح بمريم وهي قاديانية تتعلق بالفرقة القاديانية المرزائية الملحدة، وتعتقد بوجود النبوة بعد نبينا محمد ﷺ، وزيد يعتقد بكفر القاديانية في اعتقادها بوجود النبوة بعد محمد ﷺ؟

هل يجوز في الشريعة الغراء نكاحه بها أم لا؟ وكذلك إجابة دعوته لوليمة هذا النكاح وأكل هذا الطعام والذين أجابوا الدعوة وحضروها؟ وما حكم زيد المذكور في حضور جماعة المسلمين في الصلوات الخمس والجمعة وغيرها؟ أفيدونا حفظكم الله.

بينوا لنا بالكتاب الحكيم والهدي المستقيم تؤجروا بالأجر العظيم والفضل العميم.

الجواب:

تزوج المسلم بامرأة قاديانية لا يصح، والنكاح باطل؛ لأن هذه المرأة مرتدة عن الإسلام، إن كانت تدين بدين الإسلام، وإن كانت من حيث

نشأت وهي قاديانية -أي: أن أبويها قاديانيان- فهي كافرة، فعلىٰ كلا الحالتين لا يجوز للمسلم نكاحها؛ لأنها مشركة، والله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وهم يعتقدون أن زعيمهم نبي يوحىٰ إليه، وفي هذا تكذيب للقرآن العظيم، فالله ﷻ يقول: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، والنبي ﷺ يقول: «**لا نبي بعدي**» رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، فمن أنكر أن محمدًا خاتم النبيين فهو كافر مكذب لله ورسوله، وقد قال أبو هريرة أيضًا عن رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله**» رواه البخاري ومسلم.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله **علىٰ هذه الآية الكريمة**، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قال: «هذه كقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فهذه نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولىٰ والأحرىٰ؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم...، ثم ساق رحمه الله بسند الإمام أحمد حديث أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مثلي في النبيين كمثل رجل بنىٰ دارًا فأحسنها وأكملها، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه، ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة ! فأنا في النبيين موضع تلك**»، وقد أخرج الترمذي هذا الحديث، وقال: حسن صحيح، ثم ساق ابن كثير رحمه الله الأحاديث في هذا الموضوع، ثم قال رحمه الله: والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالىٰ بعباده إرسال محمد ﷺ إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر

تعالىٰ في كتابه، ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعىٰ هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل، ولو تخرق وشعبذ وأتىٰ بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجات، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرىٰ الله ﷻ علىٰ يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، فعلم كل ذي لب وفهم وحجىٰ أنهما كاذبان ضالان مضلان لعنهما الله، وكذلك كل مدع لذلك إلىٰ يوم القيامة حتىٰ يختموا بالمسيح الدجال فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالىٰ معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها، وهذا من تمام لطف الله تعالىٰ بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا علىٰ سبيل الاتفاق أو لما لهم فيه من المقاصد إلىٰ غيره، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال ﷻ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢] ، وهذا بخلاف حال الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به، وينهون عنه مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسلامه عليه دائمًا مستمرًا ما دامت الأرض والسموات». انتهىٰ كلام ابن كثير رحمه الله.

فهذا كلام العلماء -رحمهم الله- في مسألة ختم النبوة وهذه الفرقة القاديانية. وقد كتبنا في هذه الفرقة رسالة مستقلة، أسميناها (الإيضاحات الجلية في الكشف عن حال القاديانية).

وهم يرون أن المسلمين ليسوا دين، وأنهم قد قطعوا العلائق بينهم، وسووهم باليهود والنصارىٰ في المعاملة، فهم بهذا قد اعترفوا علىٰ أنفسهم

بأنهم فارقوا جماعة المسلمين، وصارت الجماعة الإسلامية المتمسكة بهديه ﷺ والمتمسكة بأنه خاتم النبيين وإمام المرسلين والمصدقة لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وبقوله ﷺ: «**لا نبي بعدي**» صارت جماعة المسلمين بهذا الاعتقاد كاليهود والنصارىٰ عند القاديانيين، فلا حول ولا قوة إلا بالله. فكيف يسوغ لمسلم أن يتزوج من هذه الطائفة التي تكفره، وتعتقد فيه أنه كالنصارىٰ.

وأما ما ذكرتم من إجابة دعوته لوليمة هذا النكاح، وهل يجوز أو لا يجوز؟ نعم لا يجوز إجابة دعوته لأن هذا منكر عظيم، ولا يجوز حضوره؛ لأن هذا النكاح باطل، وإذا كان النكاح باطلًا فإنه يكون كالسفاح، وأما الذين أجابوا الدعوة فإنهم قد أخطأوا بذلك، فمن كان منهم عالمًا بالحكم فإنه يأثم، ويجب عليه أن يستغفر الله ويتوب ويعزم أن لا يعود لمثل هذا. وأما من لا يعلم فهو إن شاء الله معذور ما دام جاهلًا بالحكم. وأما حكم زيد في حضور جماعة المسلمين وفي حضور الصلوات الخمس والجمعة والعيدين، فهذا واجب عليه أن يحضر الصلوات الخمس والجمعة لأنه مسلم، وهذا يجب علىٰ كل مسلم، ولا يخرجه عن الإسلام تزوجه بهذه القاديانية، ولكن يعتبر نكاحه بها كبيرة من الكبائر كسائر أنواع الكبائر، فهو في ذلك كالزاني المقيم علىٰ الفجور، إن كان عالمًا بالحكم، أو أخبر به، وأصر علىٰ ذلك، ولا يخرجه عن دائرة الإسلام، ولكن يجب علىٰ من علم بحاله من المسلمين أن يرفع الأمر للوالي إن كان مسلمًا؛ ليفرق بينهما، فإن هذا النكاح لا يقره عليه الإسلام. والله أعلم.



فرقة ضالة منتشرة في أوربا وأمريكا

سائل يقول:

ظهرت في العصر الحديث فرقة انتشرت في أوربا وأمريكا، انضم إليها عدد من المثقفين والمفكرين والمؤلفين المنتسبين إلىٰ الإسلام، وتتلخص عقيدة هذه الفرقة بأن الديانات الكبرىٰ كاليهودية والنصرانية والهندوكية والبوذية وغيرها أديان صحيحة ومقبولة عند الله ﷻ. وأن المخلصين من أتباعها يصلون إلىٰ الحق، وينجون من النار، ويدخلون الجنة دون حاجة في كل هذا إلىٰ الدخول في الإسلام.

فماذا تقول فيهم، وفي قولهم، وهل يجوز طبع كتبهم ونشر آرائهم وإظهار الولاء لهم؟

الجواب:

الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للناس، فأكمل به الدين، وأتم به النعمة، واختتم به الأديان كافة، ولن يقبل الله من البشر إلا الإسلام. قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقد أخبر الله ﷻ في كتابه قول اليهود: ليست النصارىٰ علىٰ شيء، وقول النصاري: ليست اليهود علىٰ شيء، يقول سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [البقرة: ١١٣]، ودين الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ يأمر أهله بالإيمان بجميع الرسل، بل جعل ذلك من أركان الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ

وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وفي الحديث المشهور الذي فيه جاء جبريل عليه السلام يعلم المسلمين أمر دينهم، سأل الرسول ﷺ: وما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**». ولكن الإسلام نسخ كل الشرائع والديانات السابقة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي أو نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**» رواه مسلم. بل إن الأنبياء السابقين لو كانوا أحياء ما وسعهم إلا اتباع محمد ﷺ والإيمان به وبرسالته.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب أتىٰ النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال: «**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسىٰ ﷺ كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني**»، والله عز وجل يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١].

وبناء علىٰ كل ما تقدم فإن هذه الفرقة التي تنتحل هذه الأفكار ضالة مضلة، فلا يجوز طبع كتبهم، أو نشر آرائهم، بل يجب إظهار البراءة منهم، ومن أفكارهم، وتحذير المسلمين من الوقوع في حبائلهم. والحمد لله رب العالمين.

الحلف بغير الله

سائل يقول:

ذكر بعض الحنابلة أن الإمام أحمد يروىٰ عنه جواز الحلف بالرسول ﷺ، فهل صحت نسبة ذلك إليه رَحِمَهُ اللَّهُ؟

الجواب:

لم نر نقلًا عن الإمام أحمد أنه أجاز الحلف بغير الله، لا بالرسول ﷺ ولا بغيره، وإنما الذي يروىٰ عن أصحابه في كتبهم جواز الحلف بالرسول ﷺ بناء علىٰ قول الإمام أحمد أن عليه الكفارة. والذي يظهر أنه لا تلازم بينهما، فإن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ معروف باحتياطه للأمور، فقال: عليه الكفارة من باب الاحتياط لبراءة الذمة. ولهذا اختلف العلماء من أصحابه، هل هي علىٰ سبيل الوجوب، أو علىٰ سبيل الاستحباب؟ منهم من قال: علىٰ سبيل الوجوب، ومنهم من قال علىٰ سبيل الاستحباب. كما قال ذلك الموفق رَحِمَهُ اللَّهُ، قال ذلك في المغني والكافي، وهو شيخ مذهب الحنابلة.

وقال: إن كلام الإمام أحمد هذا يحمل علىٰ الاستحباب دون الإيجاب، ولو كانت اليمين منعقدة لكانت الكفارة واجبة عند الحنث، ويشبه هذا في الاحتياط ما روي عنه رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يصلي خلف الجهمية مع أنه حكم بكفرهم، ولكن فعل ذلك من باب الاحتياط، ومثله إيجابه صوم يوم الشك إذا حال دون منظر الهلال قتر أو غيم، وهو من باب الاحتياط كما هو معروف من مذهبه، مع أن الأحاديث صريحة بعدم جواز صوم يوم الشك، فإلزام الإمام أحمد بهذا القول، وهو جواز الحلف بالرسول لمجرد قوله بالكفارة عند الحنث فيه نظر ظاهر. هذا مع أن

المعروف من مذهبه ومذهب الأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء -رحمهم الله- عدم جواز الحلف بأحد من المخلوقين.

وقد حكىٰ الإجماع علىٰ ذلك ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عملًا بالحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**»؛ وللحديث الذي رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**» رواه عمر بن الخطاب مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ.

وقد قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أحلف بغيره صادقًا».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قد روي عن عبد الله بن عمر وعبد الله ابن عباس أنهما قالا كما قال ابن مسعود. فهذا يدل علىٰ أن الحلف بغيره أكبر من الكذب مع أن الكذب من المحرمات في جميع الملل، فدل علىٰ أن الحلف بغير الله من أكبر المحرمات. والله الموفق.

الحلف بغير الله

سائل يقول:

يستدل بعض الناس بجواز الحلف بغير الله بأمرين:

الأول: ما جاء في القرآن أن الله سبحانه أقسم بمخلوقاته.

الأمر الثاني: أن النبي ﷺ لما جاء الأعرابي، وسأله عن أمر الإسلام، فأخبره، قال النبي ﷺ: «**أفلح وأبيه إن صدق**».

الجواب:

الله ﷻ يقسم بما يشاء من خلقه؛ لما في المقسم به من الدلالة علىٰ

قدرة الله سبحانه، وإثبات ربوبيته وألوهيته، فتعظيم هذه الأمور المخلوقة تعظيم لخالقها ومبدعها ومنشئها، وفيها الدلالة علىٰ كمال قدرته وألوهيته وحكمته، وغير ذلك من صفات كماله، وأما المخلوق فلا يجوز له أن يعظم إلا ربه الذي أمره بذلك، ونهاه عن تعظيم غيره؛ ولأن غيره لا يستحق التعظيم، حيث إنه مخلوق مربوب، وقد نهىٰ سبحانه علىٰ لسان رسوله أن نحلف بأحد غيره، كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**».

قال الإمام الشعبي: الخالق يقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا يقسم إلا بالخالق، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن أقسم بالله فأحنث أحب إلي من أن أقسم بغيره فأبر.

وقال مطرف بن عبد الله: إنما أقسم الله بهذه الأشياء يعجب بها المخلوقين، ويعرفهم قدرته؛ لعظم شأنها عندهم، ولدلالتها علىٰ خالقها.

وأما حديث: «أفلح وأبيه إن صدق». فقد قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هذه اللفظة غير محفوظة، وقد جاءت عن راويها إسماعيل بن جعفر: «**أفلح والله إن صدق**». قال: وهذا أولىٰ من رواية من روىٰ عنه بلفظ: «أفلح وأبيه»؛ لأنها لفظة منكرة تردها الآثار الصحاح.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وزعم بعضهم أن بعض الرواة عنه صحف قوله: وأبيه، من قوله: والله. قال بعض العلماء: إن هذا كان في أول الأمر ثم نسخ، أي: أنهم كانوا قد اعتادوا ذلك قبل الإسلام، وكانت تجرىٰ علىٰ ألسنتهم هذه الألفاظ حسب ما اعتادوا، ثم نسخ ذلك، فوردت أحاديث النهي عنه، فكانوا يفعلون ذلك، ثم نهوا عنه، أي نسخ جواز الحلف بغير الله، ونهي عنه، كما ذكر ذلك الماوردي وغيره.

قال السهيلي: أكثر الشراح عليه حتىٰ قال ابن العربي: روي أنه ﷺ كان يحلف بأبيه، حتىٰ نهي عن ذلك. فهذا يدل علىٰ أنه كان مستعملًا شائعًا حتىٰ ورد النهي عن ذلك كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ أدرك عمر بن الخطاب يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال ﷺ: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**» رواه البخاري ومسلم.

وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله**، وكانت قريش تحلف بآبائها، فقال: **لا تحلفوا بآبائكم**». رواه مسلم.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «حلفت مرة باللات والعزىٰ، فقال النبي ﷺ: **قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم انفث عن يسارك وتعوذ ولا تعد**» رواه النسائي وابن ماجه وهذا لفظه.

وفي هذا المعنىٰ أحاديث، فما ورد فيه ذكر الحلف بغير الله فهو جار علىٰ العادة قبل النهي؛ لأن ذلك هو الأصل حتىٰ ورد النهي عن ذلك. والله أعلم. وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد وآله وصحبه.

جماعة يسمون أنفسهم بـ «جماعة المسلمين»

سائل يقول:

توجد جماعة يسمون أنفسهم جماعة المسلمين، ويعتقدون أن تقليد الأئمة شرك، ويقولون: من وضع يده علىٰ السرة، وأخفىٰ آمين، ولم يقرأ فاتحة الكتاب خلف الإمام، ومن لم يرفع يده بعد الركوع، فصلاته فاسدة، ويقولون: إن الجماعة الفلانية علىٰ الباطل؟

الجواب:

هناك فرق بين الاتباع والتقليد.

فالتقليد معناه: الرجوع إلىٰ قول من لا تعلم حجته في هذا القول، وذلك ممنوع منه في الشريعة.

والاتباع: هو الرجوع لمن ثبتت الأدلة لديه وعرفها التابع.

وقد ذم الله ﷻ في غير موضع من كتابه الكريم التقليد الباطل. قال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وهناك تقليد عام، وهو أن يلتزم مذهبًا معينًا يأخذ برخصه وعزائمه في جميع أمور دينه، وقد اختلف العلماء فيه، فمنهم من حكىٰ وجوبه؛ لتعذر الاجتهاد في المتأخرين. ومنهم من حكىٰ تحريمه؛ لما فيه من الالتزام المطلق لاتباع غير النبي ﷺ، وهو الصواب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن في القول بالوجوب طاعة غير النبي ﷺ في كل أمره ونهيه، وهو خلاف الإجماع، وجوازه فيه ما فيه. وقال: من التزم مذهبًا معينًا، ثم فعل خلافه من غير تقليد لعالم آخر أفتاه، ولا استدلال بدليل يقتضي خلاف ذلك، ولا عذر شرعي يقتضي حل ما فعله فهو متبع لهواه، فاعل للمحرم بغير عذر شرعي، وهذا منكر، وأما إذا تبين له ما يوجب رجحان قول علىٰ قول إما بالأدلة المفصلة، إن كان يعرفها ويفهمها، وإما بأن يرىٰ أحد الرجلين أعلم بتلك المسألة من الآخر، وهو أتقىٰ لله فيما يقوله، فيرجع عن قول إلىٰ قول لمثل هذا، فهذا

يجوز، بل يجب، وقد نص الإمام أحمد علىٰ ذلك.

وعلىٰ هذا فإن المقلد إذا كان عاميًّا لا يستطيع الحكم بنفسه، فيلزمه التقليد لعالم يثق به؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ولا يجوز أن يقال عن هذا إنه شرك.

وأما وضع اليد علىٰ السرة، وإخفاء آمين، وعدم قراءة الفاتحة خلف الإمام، وعدم رفع اليد بعد الركوع، فكل هذه الأمور مما يسع فيها الخلاف. فهذه الأمور مختلف فيها بين العلماء، وجمهور العلماء لا يوجبون قراءة الفاتحة خلف الإمام، لاسيما إذا سمع قراءة الإمام في الجهرية.

وأما رفع اليد بعد الركوع: فقد ثبتت به السنة، ومن لم يفعله فلا يؤثر في صلاته. وكذا وضع اليدين تحت السرة أو فوق الصدر في حالة القيام، من السنن التي لا يؤثر تركها في بطلانِ الصلاة.

وأما القول بأن هذه الجماعة أو تلك علىٰ الباطل، فهذا تقوُّلٌ بدون بينة، ودعوىٰ ليست علىٰ منهاج النبوة، وينبغي علىٰ المسلم أن يحتاط، ويتثبت في إطلاق مثل هذه الأوصاف، فقد قال الله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ فينبغي علىٰ الجماعات الإسلامية التناصح فيما بينها بالمعروف، فالعصمة للأنبياء فيما يبلغونه عن الله، والكمال لله وحده، والمعصوم من عصم الله. وبالله التوفيق.

حكم البيعة في الإسلام

سائل يقول:

ما حكم البيعة في الإسلام؟

الجواب:



البيعة هي عهد على الطاعة للحاكم المسلم، وهي واجبة على جميع المسلمين في الدولة الإسلامية، إذا وجد الحاكم المسلم الملتزم بالشريعة الإسلامية.

وقد حذر النبي ﷺ من التهاون في أمر البيعة، فقال: «**من مات وليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية**» أخرجه مسلم.

أما إذا كان الحاكم غير مسلم، أو لا يحكم بالإسلام، أو ادعى أحد الحكم وهو غير ممكن، فلا تجب البيعة له؛ لفقد شروطها. والله أعلم.

نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان

سائل يقول:

بعض الناس يقول: إن عيسى عليه السلام توفي ولن يرجع إلى الدنيا آخر الزمان، ومن يقول بنزوله يكون مكذبًا للقرآن؛ لأن القرآن أخبر أن محمدًا آخر الأنبياء، وإذا نزل عيسى لا يكون آخر الأنبياء محمد ﷺ. وبعضهم يقول: ينزل عيسى ابن مريم في آخر الزمان، ويقتل الكفار، ويصدق دين محمد ﷺ، وينصره، ويموت؛ لأنه لم يمت فما هو القول الصحيح في هذا؟ أفتونا مأجورين.

الجواب:

ثبت في أحاديث صحيحة أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان، منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيرًا من الدنيا وما فيها**. ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ

ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴾ [النساء: ١٥٩]» أخرجه البخاري وغيره.

فهذا الحديث يدل علىٰ أن عيسىٰ عليه السلام ينزل في آخر الزمان، ويؤمن به بعض أهل الكتاب، ويبقىٰ ما شاء الله، ثم يموت، ونزوله في آخر الزمان لا ينافي أن محمدًا ﷺ خاتم النبيين؛ لأن عيسىٰ بعث قبله، ولن يبعث بعد رسول الله محمد ﷺ نبي، فمحمد خاتم الأنبياء والمرسلين؛ ولأن عيسىٰ عليه السلام يحكم بشريعة محمد ﷺ عندما ينزل. وبالله التوفيق.

الفرقة الناجية

سائل يقول:

يخبر الرسول ﷺ أن هذه الأمة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، فكيف أعرف الفرقة الناجية؟

الجواب:

الفرقة الناجية هي التي تتبع ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

وقد روي عنه ﷺ الجواب علىٰ ذلك، فإن الصحابة قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال ﷺ: «**ما أنا عليه وأصحابي**». وهذا الحديث حث منه ﷺ لأمته علىٰ جمع الكلمة، ونبذ الفرقة، وقد وعظ النبي ﷺ أصحابه موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قالوا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال ﷺ: «**أوصيكم بتقوىٰ الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة**

ضلالة» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

فالأصل الذي تعرف به الفرقة الناجية هو تمسكها بسنة نبيها ﷺ، وعمل أصحابه -رضوان الله عليهم-، ولا ينبغي الجزم لطائفة معينة أو لشخص معين أو مذهب أو نحلة أنها وحدها هي الفرقة الناجية، وأن ما سواها على باطل، أو أنه من أهل النار، أو غير ذلك مما يقوله بعض الناس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأما تعيين هذه الفرق فقد صنف الناس فيهم مصنفات، وذكروهم في كتب المقالات؛ لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة هي إحدى الثنتين والسبعين لا بد له من دليل، فإن الله حرم القول بلا علم عموما؛ وحرم القول عليه بلا علم خصوصًا؛ فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ [البقرة: ١٦٨]، ﴿**إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٦٩]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ**﴾ [الإسراء: ٣٦]. وأيضًا فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى، فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه، الموالية له، هم أهل السنة والجماعة؛ ويجعل من خالفها أهل البدع، وهذا ضلال مبين. فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر؛ وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ. فمن

جعل شخصًا من الأشخاص غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة - كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك - كان من أهل البدع والضلال والتفرق» اهـ.

وليس معنىٰ الحديث أن من سوىٰ هذه الفرقة فهو مخلد في النار لا يخرج منها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إذا قال المؤمن: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، يقصد كل من سبقه من قرون الأمة بالإيمان، وإن كان قد أخطأ في تأويل تأوله، فخالف السنة، أو أذنب ذنبًا فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان، فيدخل في العموم، وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة، فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارًا، بل مؤمنين، فيهم ضلال وذنب يستحقون به الوعيد، كما يستحقه عصاة الموحدين، والنبي ﷺ لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من أمته، ولم يقل إنهم يخلدون في النار، فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته، فإن كثيرًا من المنتسبين إلىٰ السنة فيهم بدعة من جنس بدع الرافضة والخوارج، ولكن أصحاب الرسول ﷺ، وعلي بن أبي طالب وغيره لم يكفروا الخوارج الذين قاتلوهم» اهـ.

أسأل الله أن يوفقنا للعمل بكتابه، واتباع سنة نبيه ﷺ، وأصحابه -رضوان الله عليهم-.

التشاؤم من أيام معينة

سائل يقول:

يتشاءم الناس عندنا في بعض بادية مصر من الأيام (٦، ١٦، ٢٦) من الشهر، وفي شهر صفر كله، فلا يعملون في هذه الأيام ولا شهر صفر أي مناسبة فرح، فما حكم ذلك؟

الجواب:

لا شك أن هذا من الأمور المنهي عنها، وهي من أعمال أهل الجاهلية، فلا يجوز لمسلم أن يتشاءم بشيء، ويظن أنه ينفع ويضر، وهو من الطيرة التي جاء في قوله ﷺ: «**لا عدوىٰ ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**». فقد كان الناس في الجاهلية يتشاءمون بأمور كثيرة، منها أن الطير إذا حلق يمنة تيمنوا، وظنوا حصول الخير، وأقدموا علىٰ العمل، وإن طار يسرة تشاءموا به، وربما انكفوا عن العمل.

فنفاه ديننا الحنيف وأبطله، ونهىٰ عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر.

وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي أنه قال لرسول الله ﷺ: «ومنا أناس يتطيرون، فقال: **ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم**». فأخبر ﷺ أن تأذيه وتشاؤمه بالتطير إنما هو في نفسه وعقيدته لا في المتطير به.

فالتشاؤم مناف لكمال التوحيد، وباب للشرك في اعتقاد الإنسان أن هذا الشيء ضار أو نافع في ذاته.

فيجب على المسلم أن يعتقد أنه لا يحصل شيء من النفع والضرر إلا بما أراد الله عَزَّ وَجَلَّ، ويعمل بما أمر به من اتخاذ الأسباب المباحة.

والتشاؤم بشهر صفر من عقيدة أهل الجاهلية، كما جاء في بعض الآثار أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر ويقولون: إنه شهر مشؤوم. وهو شبيه بتشاؤم أهل الجاهلية بشهر شوال أيضًا كما في صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «تزوجني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شوال، وبنى بي في شوال، فأي نساء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أحظى عنده مني»، وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال.

فقصدت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بهذا الكلام رد ما كانت الجاهلية تفعله، من كراهة التزويج والدخول في شوال، كذلك اعتقاد الناس في صفر أنه صفر من الخير. وهذا اعتقاد باطل يجب على المسلم أن يجتنبه؛ لأنه من أعمال أهل الجاهلية. وبالله التوفيق.

حكم ساب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سائل يقول:

ما حكم ساب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب:

سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو دينه كفر يخرج من الملة، ويكون الساب مرتدًّا بذلك، والمرتد جزاؤه القتل بالإجماع، فإن كان غير مسلم فقد نقض العهد بسبه للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووجب قتله.

وقد صنف بعض الأئمة كتبًا في هذا، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية



رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنه صنف كتابه المشهور (الصارم المسلول في حكم شاتم الرسول)، وقد حكىٰ ابن المنذر والقاضي عياض وغيرهما الإجماع علىٰ أن حد من سب النبي ﷺ القتل، وحكىٰ بعضهم الإجماع علىٰ كفره، وقتله لردته.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إن الساب إن كان مسلمًا فإنه يكفر ويقتل بغير خلاف...، وإن كان ذميًا فإنه يقتل أيضًا في مذهب مالك وأهل المدينة وهو مذهب أحمد وفقهاء الحديث»

فعلىٰ ولي أمر المسلمين أن يقوم بقتله، وليس هذا لآحاد الناس، وإنما هو لولي الأمر. وبالله التوفيق.

شراء التعاويذ واستعمالها

سائل يقول:

هل يجوز استعمال التعاويذ وشراؤها؟

الجواب:

التعاويذ والتمائم التي تعلق علىٰ الأولاد لدفع العين عنهم، إن كانت من القرآن أو الأذكار النبوية الصحيحة فقد رخص فيه بعض السلف، ويجوز دفع مبلغ لمعد التعويذة من دون اشتراط مسبق. وذهب بعض أهل العلم إلىٰ عدم جواز ذلك، وجعلها من المنهي عنه. وممن لم يرخص فيه ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. أما إذا كانت من غير القرآن والأحاديث

النبوية الشريفة كالطلاسم والشعوذات، فلا يجوز استعمالها، ولا شراؤها، ولا نشرها. وبالله التوفيق.

التشبه بالكفار

سائل يقول:

ما معنىٰ التشبه بالكفار؟

الجواب:

التشبه هو أن يفعل مثل ما يفعله الكفار مما هو مختص بهم، سواء مما هو في الاعتقاد أو الأفعال أو الأقوال أو اللباس أو العادات، فما كان من خصائص الكفار فلا يجوز للمسلم أن يتشبه بهم في جميع هذه الأمور وما شابهها، والتشبه بهم يفضي غالبًا إلىٰ الإعجاب بهم ومحبتهم، ومن كان كذلك فيخشىٰ من دخوله في قوله ﷺ: «**المرء مع من أحب**»، وقد حذر النبي ﷺ من التشبه بهم وتقليدهم، فقال ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرًا وذراعًا بذراع، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارىٰ؟ قال: **فمن!**» رواه البخاري، والله ﷻ يقول: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**». أما ما كان يوافق فعلهم، ولكن ليس خاصًّا بهم، بل يعمله المسلمون فلا يعتبر تشبه، كما هو الآن موجود في بعض الأمور المعتادة كركوب الطائرات والسيارات واستعمال بعض الأجهزة في الاتصالات وغيرها.

أما ما يتبادر إلىٰ ذهن بعض الناس أن النهي عن التشبه خاص باليهود والنصارىٰ فهو غير صحيح، بل النهي عام في أهل الكتاب وغيرهم من

الكفار؛ لأن النبي ﷺ يقول: خالفوا أهل الكتاب، خالفوا المجوس، خالفوا المشركين. وبالله التوفيق.

التشبه بالكفار مسألة عقدية وليست شكلية فقط

سائل يقول:

بعض الناس يقول: إن التشبه بالكفار لا يكون إلا بأشياء شكلية فقط، فيما يبقىٰ الجوهر والعقيدة نظيفين. ما قولكم في هذا؟

الجواب:

أما قول من يقول: إن التشبه بالأشياء الشكلية لا يضر وإنما هي فيما يتعلق بالجوهر والعقيدة، فهذا ليس بصواب، بل النهي عام في كل ما هو من خصائصهم، كلباسهم، وأعيادهم، وتحياتهم، وغير ذلك مما يعتبر من خصائصهم، ومن تشبه بهم في مثل هذه الأشياء أفضىٰ به الأمر غالبًا إلىٰ التشبه بهم في العقائد. نسأل الله السلامة والعافية. وبالله التوفيق.

الحفاظ على العقيدة

سائل يقول:

من الصعب فصل المجتمعات الإسلامية عن غيرها من المجتمعات الكافرة، فكيف تظل العقيدة الإسلامية صافية في قلوب المسلمين دون التشبه بالكفار؟

الجواب:

ليس من الصعب البعد عن الكفار وعن مخالطتهم والتشبه بهم

وموافقتهم، فالمسلمون لهم كيانهم الخاص، ولهم عقيدتهم وأعمالهم التي أمروا بها، ولا يستصعب ذلك المسلم الحقيقي، فالذي يدعي أنه مسلم، ولكنه يريد أن يعمل كما يعمل الكفار، فهذا لم يطبق الإسلام حقيقة، وقد قال بعض العلماء رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ حديث «**من تشبه بقوم فهو منهم**»: قد يقع التشبه في أمور قلبية من الاعتقادات والإرادات وأمور خارجية من أقوال وأفعال، قد تكون عبادات، وقد تكون عادات، في نحو طعام ولباس ومسكن ونكاح واجتماع وافتراق وسفر وإقامة وركوب وغيرها، وبين الظاهر والباطن ارتباط ومناسبة، وقد بعث الله المصطفىٰ ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه الله له، فكان مما شرعه له من الأقوال والأفعال ما يباين ويخالف سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر، وإن لم يظهر لنا فيه مفسدة لأمور منها أن المشابهة في الظاهر تؤثر تناسبًا وتشاكلًا بين المتشابهين تعود إلىٰ موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وقد توجب الألفة والمحبة، ومفارقتهم توجب الانقطاع والمباينة، والمشابهة في الظاهر قد توجب الاختلاط حتىٰ يرتفع التمييز بين المسلم وغيره، وقد روي عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «من بنىٰ بأرض المشركين، وصنع نيروزهم وسرجانهم، وتشبه بهم حتىٰ يموت، حشر يوم القيامة معهم».

وقال بعض العلماء: من تشبه بهم في جميع أعمالهم فإن ظاهر الحديث يدل علىٰ كفره، ومن تشبه بهم في بعض الأمور فقد ارتكب محرمًا، فبقدر ما شابههم به إن كان من العقائد وأصول الدين فهو كفر، وإن كان من غير ذلك فهو معصية، والمعاصي درجات قد يكون بعضها أغلظ من بعض.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ حديث: «من تشبه بقوم فهو منهم» أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بأهل الكتاب، وإن كان ظاهره

يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]. وبالله التوفيق.

سماع الموتى وحياة النبي ﷺ

سائل يقول:

ما هو الراجح في مسألة سماع الموتىٰ وحياة النبي ﷺ؟ وهل كان الاختلاف في هاتين المسألتين في زمن الصحابة أم نشأ متأخرًا؟

وما مدىٰ صحة قول من يقول: إن الذي لا يعتقد بحياة النبي ﷺ بسماع الموتىٰ فهو كافر، لا تجوز الصلاة خلفه.

وإذا حكم أحد علىٰ حديث ما بالضعف، أو بين حال راويه بأنه كذاب أو وضاع، فهل يكون مكذبًا للصحابي الذي روىٰ هذا الحديث؟

الجواب:

الكلام علىٰ هذا السؤال في أمرين:

الأول: سماع الموتىٰ:

اعلم وفقني الله وإياك لما يرضيه أن لكل ميت حياة خاصة، تسمىٰ حياة برزخية، ينعم أو يعذب فيها علىٰ حسب أعماله، كما دلت عليه الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة، وإن الشهداء من أفضل الناس حياة، وإن نبينا ﷺ له حياة خاصة، أفضل من جميع الشهداء وسائر الخلق، ولا ريب.

ولكن هل هذه الحياة كحياتهم في الدنيا، وهل هم يشعرون بما يجري أو يسمعون إذا خوطبوا؟ لا يقال بشيء منها إلا ما ثبت بدليل شرعي صحيح.

وإن كون الموتىٰ يسمعون أو لا يسمعون أمر غيبي، لا يعلمه إلا الله ﷻ، فلا يجوز القول فيه بالأقيسة والآراء، وإنما يوقف مع النص الصحيح الثابت عن الله ورسوله ﷺ نفيًا وإثباتًا.

فالذي نرىٰ أن الموتىٰ لا يسمعون في عامة الأحوال، بل في حالات خاصة. ومن الأدلة علىٰ عدم سماعهم قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ [النحل: ٨٠].

فهاتان الآيتان تدلان بوضوح علىٰ أن الموتىٰ لا يسمعون، حتىٰ ولو ذهبنا في تفسير الآية إلىٰ القول بأن المقصود بالموتىٰ وبمن في القبور الكفار الأحياء، شبهوا بالموتىٰ لعدم إيمانهم، والمعنىٰ: «الذين هم في حال الموت أو في حال من سكن القبر» كما ذهب إليه بعض المفسرين؛ لأن الموتىٰ لما كانوا لا يسمعون حقيقة، وكان ذلك معروفًا عند المخاطبين شبه الله تعالىٰ بهم الكفار الأحياء في عدم السماع، فدل هذا التشبيه علىٰ أن المشبه بهم -وهم الموتىٰ في قبورهم- لا يسمعون.

بل يفهم من تشبيه موتىٰ الأحياء وهم الكفار بموتىٰ القبور أن موتىٰ القبور أقوىٰ في عدم السماع منهم كما هو الشأن في التشبيه.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره ٢١/ ٣٦:** «هذا مثل معناه فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله علىٰ أسماعهم، وسلبهم فهم ما يتلىٰ عليهم من مواعظ تنزيله، كما لا تقدر أن تفهم الموتىٰ الذين سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعًا»، ثم روىٰ بإسناد صحيح عن

قتادة قال: «هذا مثل ضَرَبَهُ الله للكافر، فكما لا يسمع الميت الدعاء كذلك لا يسمع الكافر»، وفسره القرطبي (١٣/ ٢٣٢) أيضًا بنحوه.

ومن أدلة عدم سماع الموتىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

فقوله ﷻ: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ صريح في نفي السماع عن الذين كان المشركون يدعونهم من دون الله تعالىٰ، وهم موتىٰ الأولياء والصالحين الذين كان المشركون يمثلونهم في تماثيل وأصنام يعبدونهم فيها، كما يدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ حكاية عن قوم نوح: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: ٢٣].

فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هؤلاء الخمسة أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك، ونسخ العلم، عبدت. رواه البخاري وغيره.

فتفسير هذه الآية أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم ولو فرض أنهم يسمعون فلا يستجيبون لداعيهم، وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم أي ينكرون ويتبرؤون ممن أشركهم مع الله، فهذا الذي أخبر به الخبير الذي لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأخبر سبحانه أن ذلك الدعاء شرك به، وأنه لا يغفره لمن لقيه به، فأهل الشرك ما صدقوا الخبير، ولا أطاعوه فيما حكم به وشرع، بل قالوا إن الميت يسمع، ومع سماعه ينفع، فتركوا الإسلام والإيمان رأسًا.

فتبين مما تقدم وجه الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ علىٰ أن الصالحين لا يسمعون بعد موتهم، فغيرهم مثلهم بداهة. ومن أدلة عدم سماع الموتىٰ حديث (قليب بدر) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وقف النبي ﷺ علىٰ قليب بدر، فقال: **هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا**، ثم قال: إنهم الآن يسمعون ما أقول، فذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي ﷺ إنهم الآن يعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأت: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ حتىٰ قرأت الآية». رواه البخاري والنسائي وأحمد وغيرهم.

وحديث أبي طلحة «أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش، فقذفوا في طوىٰ (يعني: بئر) من أطواء بدر خبيث، وكان إذا ظهر علىٰ قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته، فشد عليها رحلها، ثم مشىٰ، وابتعد أصحابه وقالوا ما نرىٰ ينطلق إلا لبعض حاجته، حتىٰ قام علىٰ شفة الركىٰ، فجعل يناديهم بأسمائهم، وأسماء آبائهم، **يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا**، قال: فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: **والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**. قال قتادة: أحياهم الله حتىٰ أسمعهم قوله، توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا». أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

ففي الرواية الأولىٰ تقييد من النبي ﷺ سماع أهل القليب بقوله الآن، فمفهومه أنهم لا يسمعون في غير هذا الوقت.

قال العلامة الآلوسي الحنفي في روح المعاني ٦/ ٤٥٥: «ففيه تنبيه

قوي علىٰ أن الأصل في الموتىٰ أنهم لا يسمعون، ولكن أهل القليب في ذلك الوقت قد سمعوا نداء النبي ﷺ بإسماع الله تعالىٰ إياهم، خرقًا للعادة ومعجزة للنبي ﷺ».

وفي تفسير القرطبي ١٣/ ٢٣٢: «قال ابن عطية: فيشبه أن قصة بدر خرق عادة لمحمد ﷺ، في أن رد الله إليهم إدراكًا سمعوا به مقاله، ولولا إخبار رسول الله ﷺ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم علىٰ معنىٰ التوبيخ لمن بقي من الكفرة، وعلىٰ معنىٰ شفاء صدور المؤمنين».

وفيما ذكر من الأحاديث أمر آخر، وهو أن النبي ﷺ أقر عمر وغيره من الصحابة علىٰ ما كان مستقرًا في نفوسهم واعتقادهم أن الموتىٰ لا يسمعون، فقد مضىٰ من قول عمر: «ما تكلم من أجساد لا أرواح لها» وفي رواية النسائي وأحمد ٣/ ١٠٤: «قالوا» بدل «قال عمر»، فلو لم يكن عندهم في ذلك علم سابق من النبي ﷺ في أن الموتىٰ لا يسمعون، لما بادروا في إبداء استغرابهم، كما تقرر لديهم من معنىٰ الآية ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، أنهم لا يسمعون.

وقد روىٰ أحمد (٣/ ٢٨٧) من حديث أنس رضي الله عنه قال: «فسمع عمر صوته، فقال: يا رسول الله، أتناديهم بعد ثلاث، وهل يسمعون؟ يقول الله عز وجل ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، فقال: **والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا**».

فلم يخطئهم النبي ﷺ في فهم الآية، بل أقرهم، ولكن بين لهم من شأن أهل القليب ما كان خافيًا عليهم، وأنهم سمعوا كلامًا حقًّا، وأن هذا أمر خاص معجزة له ﷺ.

وأما أدلة من يثبت السماع للموتىٰ، فهم يستدلون بحديث قليب بدر المذكور آنفًا، وقد ظهر أنه خاص بالنبي ﷺ معجزة له، ولا دليل فيه علىٰ إطلاق سماعهم.

ومن جملة ما يستدلون به الحديث المتفق عليه: «إن الميت ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا».

وفي رواية: **«إن العبد إذا وضع في قبره، وتولىٰ عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه...»** الحديث.

وهذا الحديث أيضًا فيما نرىٰ أنه خاص بوقت وضعه في قبره ومجيء الملكين إليه لسؤاله، فلا عموم فيه.

ومن جملة ما يستدلون به علىٰ السماع: مشروعية السلام علىٰ الأموات، ويقولون: إن السلام علىٰ من لا يشعر، ولا يعلم بالمسلم محال.

والذي نرىٰ أن السلام علىٰ الأموات أمر تعبدي، ولا يلزم منه أن يعلم المسلم عليه بالسلام، كما أننا نسلم سرًا في آخر صلواتنا مقتدين، وننوي بسلامنا الحفظة والإمام، مع أن هؤلاء لا يسمعونه لعدم الجهر به.

علىٰ أن السلام هو الترحم للموتىٰ، وننزلهم منزلة المخاطبين السامعين، وذلك شائع في العربية، بل وخطاب من لا يسمع ورد في قول المصطفىٰ ﷺ حيث كان يقول حين يرىٰ الهلال: ربي وربك الله.

فالإنسان يفعل هذا كثيرًا، ويخاطب من يتصوره، ويستحضره في القلب، وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب.

وأما الحديث: «**ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن، كان يعرفه في الدنيا، فسلم عليه، إلا عرفه، ورد عليه**»، فهو حديث ضعيف، بل قال بعض العلماء: إنه موضوع.

والأمر الثاني: حياة النبي ﷺ:

مسألة حياة النبي ﷺ: الواجب فيها علىٰ كل مسلم أن يعتقد أنه ﷺ توفي، والتحق بالرفيق الأعلىٰ، فلو اعتقد أنه ﷺ حي كحياته في الدنيا أو أنه لم يمت، فقد أنكر قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾[آل عمران: ١٤٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٤-٣٥].

كما أنه منكر لما أجمع عليه خير هذه الأمة أصحاب رسول الله ﷺ، فلم ينقل عنهم إلا إثبات موته ﷺ، وإن أحدهم كان النبي ﷺ أحب إليه من نفسه، وهل يعقل أنهم دفنوه تحت الثرىٰ وهو حي.

كما يجب علىٰ المسلم أن يعتقد أن النبي ﷺ في حياته البرزخية أفضل حياة من جميع الأموات والشهداء.

ولا يدل دليل صحيح علىٰ أنه ﷺ يسمع إذا نودي أو إذا صُلي وسُلم عليه عند قبره الشريف، بل قال ﷺ: «**إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام**». أخرجه أبو داود وغيره.

وهذا الحديث في أنه ﷺ لا يسمع سلام المسلمين عليه، إذ لو كان يسمعه بنفسه لما كان بحاجة إلىٰ من يبلغه إليه كما هو ظاهر.

وكذلك قوله ﷺ: «**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله روحي حتىٰ أرد عليه السلام**». رواه أبو داود.

ففيه دليل على أنه ﷺ لا يسمع دائمًا، بل يسمعه الله تعالى في حالة خاصة، وهي عند رد الروح؛ لرد السلام على من سلم عليه.

وأما حديث: «**من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائيًا أبلغته**». فهو حديث موضوع. كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاواه ٢٧/ ٢٤١.

هذا ما يظهر لنا في هاتين المسألتين الهامتين.

وإن فرض أن الموتى يسمعون في قبورهم لا يترتب عليه شيء بالنسبة لعقيدة المسلم وعمله، فلا يجوز له أن يعتقد في المقبورين النفع والضر، لأن اعتقاد ذلك هو عين الشرك الأكبر، وهو واضح لا يحتاج إلى توضيح.

وأما قول القائل: إن الذي لا يعتقد بحياة النبي ﷺ ولسماع الموتى فهو كافر، فهذا القول خطأ من جهتين:

الأولى: جهة اعتقاده بحياة النبي ﷺ.

والثانية: جهة الحكم على المسلم بالكفر. فقد قال النبي ﷺ: «**أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**» رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

والاختلاف في المسألتين المذكورتين لم يكن في زمن الصحابة إلا في سماع أهل القليب خاصة: هل يسمعون أو لا يسمعون؟ كما مضى في حديث ابن عمر إنكار عائشة لسماعهم استدلالًا بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ واستبعادًا منها على ثبوت هذا من النبي ﷺ؛ لأنه مخالف للآية، ولم تذهب عائشة إلى الاستثناء والتخصيص.

وأما إذا حكم أحد على حديث بالضعف أو بين حال راويه بأنه

كذاب أو وضاع فهو عين الصواب، بل هو الواجب علىٰ من أقدره الله علىٰ هذا العمل الجليل، فإنه ذبٌّ عن سنة النبي ﷺ، وحمايةٌ لجنابه.

ولا يجوز أن ينسب إليه ﷺ حديث موضوع مكذوب عليه إلا ببيان وضعه، حتىٰ لا يدخل في الوعيد الشديد: «**من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**».

ولا يحصل به تكذيب الصحابي، بل هذا تكذيب كذاب، يكون قد ألصق هذا الكلام بأحد من الصحابة، وقوَّله ما لم يقله، فإن قال أحد: إنه تكذيب للصحابي في هذه الحالة فهو تلبيس وخداع. والله أعلم بالصواب.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

المؤاخذة بحديث النفس

سائل يقول:

هل يحاسب المسلم علىٰ ما يدور في فكره من أفكار خيرة وسيئة؟

الجواب:

ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم**».

فهذا الحديث الصحيح دليل علىٰ عدم المؤاخذة بما يدور في فكر الإنسان وما يحدث به نفسه من أمر سيء ما لم يعمل أو يتكلم.

بل إن من رحمة الله ﷻ وفضله أن من فكر بالأمر الحسن، ثم هم بفعله، لكنه لم يفعله، فإن الله يكتب له حسنة كاملة، ومن فكر بسوء، ثم هم به، لكنه لم يفعله، فإن الله يكتب له بتركه حسنة كاملة، كما ثبت ذلك

في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل، قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها، فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات، إلىٰ سبع مائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة، فلم يعلمها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها، فعملها كتبها الله له سيئة واحدة**». وهذا الحديث يدل علىٰ فضل الله وسعة رحمته بعباده سبحانه. وبالله التوفيق.

العروة الوثقى

سائل يقول:

ما هي العروة الوثقىٰ؟ أفيدونا مأجورين.

الجواب:

يقول الحق -تبارك وتعالىٰ-: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. فالعروة الوثقىٰ هي الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، وهذا يكون بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. والله أعلم.

الذهاب للسحرة والعرافين

سائلة تقول:

كنت أشكو من اضطرابات في الجسم وخوف مستمر، مما دعاني للذهاب لعدد من الأطباء، ولكن دون جدوىٰ، وذهبت أخيرًا إلىٰ رجل يقال إنه يعالج بالقرآن الكريم، والعلاج كان عبارة عن بخارات وماء

محاية لمدة خمسة عشر يومًا، وخلال تلك الفترة للعلاج حضر بالمنزل، وزادت الحالة سوءًا، وأخيرًا علمت بأن الرجل يعالج بالسحر، فاستغفرت الله كثيرًا وندمت، فهل علي إثم في هذه الحالة؟ وماذا يلزمني؟

الجواب:

لا يجوز للمسلم أن يأتي الساحر أو الكاهن أو العراف، ويأثم بهذا، ومن يأتيهم فهو علىٰ خطر عظيم في دينه، لما ورد عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: **الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**» رواه البخاري، ولما جاء عن أبي هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «**من أتىٰ كاهنًا أو عرافًا فصدقه، فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد**» رواه أحمد وغيره، وفي لفظ لمسلم عن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**من أتىٰ عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»، لكن ما دام أن السائلة فعلت ذلك ظنًّا منها أنه يعالج بالقرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، فهي معذورة إن شاء الله؛ وذلك لأنها تركته لما تبين لها حقيقته، وتابت إلىٰ الله تعالىٰ، وينبغي عليها أن تحذر من الذهاب إلىٰ أمثال هؤلاء مرة ثانية. وبالله التوفيق.

نهي الأم عن الذهاب للكهان ليس من العقوق

سائل يقول:

أمي أمية تذهب إلىٰ الكهان والعرافين، وإذا قلت لها: هذا محرم شرعًا، غضبت، فهل هذا يعتبر من العقوق؟

الجواب:

الواجب عليك أن تبين لها ذلك، فليس هذا من العقوق، بل هو من البر الواجب عليك، فتبين لها قول النبي ﷺ: «**من أتىٰ كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ**» وروي أن من صَدَّقَه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا، والله ﷻ يقول: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾ [لقمان: ١٥]، فتبين لها أن الذهاب إليهم محرم، وتحذرها من ذلك، لكن برفق ولين. والله الموفق.

حكم من أنكر المعجزة والكرامة

سائل يقول:

هل صحيح أن من أنكر المعجزة فهو كافر، وأن من أنكر الكرامة فليس بكافر؟

الجواب:

المعجزة هي الخوارق للعادة التي تحصل للأنبياء، فمن أنكرها، وكانت هذه المعجزة ثابتة بأدلة صحيحة صريحة فأنكر هذه الأدلة كمن أنكر أن القرآن أنزل علىٰ محمد ﷺ، أو أنكر أن موسىٰ عليه السلام ألقىٰ عصاه فإذا هي ثعبان مبين، فهذا يكفر بمثل هذا الإنكار.

أما الكرامة وهي الخوارق التي تحصل لغير الأنبياء، فهي علىٰ نوعين:

النوع الأول: كرامة تحصل للأولياء والصالحين من عباد الله، فهي كرامة من الله -جل وعلا- خص بها أولياءه ، وهذه إذا لم تثبت بأدلة صحيحة صريحة، فلا يكفر منكرها.

النوع الثاني: خوارق تحصل للمشعوذين والسحرة والمتصوفة وغيرهم، وهذه من الشيطان، والواجب على المسلم أن لا يغتر بها، وأن يحذر من أصحابها. وبالله التوفيق.

حكم الاستهزاء بصحابة رسول الله ﷺ

سائل يقول:

يقع بعض الناس في الاستهزاء بصحابة رسول الله ﷺ، متهاونين في ذلك، أو جهلًا منهم. نرجو منكم الحكم في هذا الموضوع مأجورين.

الجواب:

أثنى الله -جل وعلا- على الصحابة -رضوان الله عليهم- في القرآن الكريم وزكاهم، فقال سبحانه في قصة غزوة تبوك: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧].

وقال سبحانه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال جل جلاله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨-١٠].

وقال ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» رواه مسلم، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»، وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»، وأجمع العلماء على عدالتهم، وصنفوا في ذلك المصنفات تعريفًا بهم، وبيانًا لفضلهم وأثرهم على الأمة.

ولا شك أن سب الصحابة محرم يفسق صاحبه. قال الإمام أحمد: «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب، ولا بنقص، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة، وخلده الحبس حتى يموت أو يرجع».

بل ذهب بعض أهل العلم إلى تكفير من سبهم، **قال ابن كثير** رحمه الله: «ذهب طائفة من العلماء إلى تكفير من سب الصحابة وهو رواية عن مالك ابن أنس».

وقال النووي: «اعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتنة منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون... قال القاضي: وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر، ولا يقتل، وقال بعض المالكية: يقتل».

ومن تكلم في الصحابة فهو علىٰ خطر عظيم، فقد كان النبي ﷺ في أحد غزواته، وتكلم بعض المنافقين الذين كانوا مع النبي ﷺ - وهم مع النبي وهم منافقون - فقالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أجبن لقاءًا، وأرغب بطونًا، وأكذب ألسنًا - يعنون صحابة رسول الله ﷺ - فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٦]، والصحابة رضي الله عنهم هم الذين نقلوا حديث الرسول ﷺ، فحفظوا لنا الدين، فإذا طُعن فيهم، فماذا يبقىٰ من الإسلام، فمن يستهزئ بهم فهو علىٰ خطر عظيم، وما وقع من الخلافات التي وقعت بينهم، فهم مجتهدون، وقصدهم إن شاء الله صالح، فنحن نعتذر عنهم، ولا يجوز أن نطعن فيهم. وبالله التوفيق.

شفاعات النبي ﷺ

سائلة تقول:

كيف يشفع رسول الله ﷺ يوم القيامة لأمته؟

الجواب:

الشفاعة ثابتة للنبي ﷺ كما هي ثابتة أيضًا للأنبياء والصالحين وللأفراد الذين يشفعون لأهليهم. لكن شفاعاته التي تختص به ﷺ كثيرة:

فمنها الشفاعة العظمىٰ التي قال فيها تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] فهذه أعظم

الشفاعات، وهي التي يشفع فيها ﷺ للناس في المحشر، لعل الله يريحهم من المحشر، ويحاسبهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ أتي بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهش منها نهشة، ثم قال: **أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس، الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربكم، فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، ألا ترىٰ إلىٰ ما قد بلغنا، فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة، فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ نوح، فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها علىٰ قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات** - فذكرهن أبو حيان في الحديث - **نفسي نفسي، اذهبوا**

إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ موسىٰ، فيأتون موسىٰ، فيقولون يا موسىٰ أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه علىٰ الناس، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ عيسىٰ ابن مريم، فيأتون عيسىٰ، فيقولون: يا عيسىٰ أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، فيقول عيسىٰ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ محمد، فيأتون محمدًا، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي ﷻ، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه علىٰ أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوىٰ ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرىٰ» رواه البخاري. فهذه هي الشفاعة العظمىٰ.

كما أن له ﷺ شفاعة أخرىٰ وهي أنه ﷺ يشفع في أقوام قد استوت حسناتهم وسيئاتهم، فحسناتهم تمنعهم من دخول النار، وسيئاتهم

تمنعهم من دخول الجنة، فيشفع لهم ﷺ فيدخلون الجنة.

وكذلك أيضًا يشفع ﷺ لقوم أمر بهم إلى النار بسبب ذنوبهم، وهم من أهل التوحيد، عليهم ذنوب عظيمة يستحقون أن يعذبوا بها في النار، فيشفع لهم عند الله تعالى، ويدخلهم الجنة، أما أهل الشرك فما تنفعهم شفاعة الشافعين.

ومنها أيضًا: أنه يشفع ﷺ لأناس صالحين يدخلون الجنة، لكن يشفع لهم برفع درجاتهم.

وكذلك يشفع ﷺ لأقوام ليدخلوا الجنة بغير حساب، فيدخلهم الله عز وجل الجنة بغير حساب.

كذلك أيضًا يشفع ﷺ لبعض أهل النار، أن يخفف الله تعالى عنهم العذاب، وهذه خاصة بعمه أبي طالب لما كان يحوطه ويحميه في هذه الدنيا، فالنبي ﷺ يشفع له بأن الله يخفف عنه العذاب، وإلا ما يخرج من النار، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾[المائدة: ٣٧].

وثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: **نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**».

وكذلك شفاعته ﷺ لأهل الجنة الذين هم مستحقين لها، وهم ينتظرون دخولها، فيشفع لهم، ويعجل الله لهم الدخول إلى الجنة.

وكذلك أيضًا شفاعته ﷺ لأناس من أهل التوحيد استوجبوا أن يعذبوا في النار، فيشفع لهم ﷺ أن يدخلهم الله عز وجل الجنة.



وهناك كما قلت شفاعات للأفراد يشفعون لأهليهم، وشفاعات للأنبياء والصالحين، ولكن كل هذه الشفاعات لا تحصل إلا بإذنه ﷻ، كما قال - جل وعلا-: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وبالله التوفيق.

هل يدخل المؤمن العاصي النار

سائل يقول:

هل يدخل المؤمن العاصي النار ويمكث فيها طويلًا، أم تمسه النار فقط إبرارًا للقسم؟

الجواب:

المؤمن الذي يموت علىٰ التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، ويؤدي الفرائض ويجتنب المحرمات، فإن الله يدخله الجنة برحمته سبحانه، ولا يدخله النار.

أما من مات منهم علىٰ شيء من المعاصي دون الشرك، ولم يتب منها، فهو تحت مشيئة الله، إن شاء سبحانه غفر له وأدخله الجنة علىٰ ما كان عليه من عمل، وإن شاء عذبه علىٰ قدر معصيته، ثم يدخله الجنة، وذلك لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. ولما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني آت من ربي فأخبرني - أو قال: - بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، قلت: وإن زنىٰ وإن سرق؟ قال: وإن زنىٰ وإن سرق»** رواه البخاري ومسلم.

وأما التائبون فمغفور لهم، لقول الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ

ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] ولقوله ﷺ: «**التوبة تجب ما قبلها**» وهذا قول أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ، ومن سار علىٰ نهجهم من أهل العلم والإيمان، كالأئمة الأربعة وأتباعهم. وبالله التوفيق.

حكم استعمال كلمة (لو)

سائلة تقول:

علمت بأن كلمة (لو) تفتح عمل الشيطان، ونحن نستعملها دائمًا في كلامنا، فأرجو التوجيه بذلك؟

الجواب:

نهىٰ النبي ﷺ عن كلمة (لو) لأنها تفتح عمل الشيطان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص علىٰ ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**» رواه مسلم. وذلك لأن هذا فيه نوع من التسخط والاعتراض علىٰ قدر الله، فإذا قال الإنسان: لو فعلت كذا لحصل كذا، لو خرجت لحصل لي كذا وكذا، فهو بقوله هذا علق أقدار الله، وعلق أرزاق الله بروحته أو جلسته أو مجيئه، وهذا من عمل الشيطان إذا كان الإنسان يقولها علىٰ سبيل التسخط، أو لفوات شيء من أمور الدنيا، ونحو ذلك، فعلىٰ الإنسان إذا حصل له شيء لا يرغبه، أو فاته شيء يرغبه من أمور الدنيا أن لا يقل: لو فعلت كذا لكان كذا، وإنما يقول مثل ما أخبرنا الرسول ﷺ: «**قدر الله وما شاء فعل**»، فلا راد لمشيئته سبحانه فأمره نافذ، ومهما عمل الإنسان فلن يكون إلا ما

قدره الله، فالله سبحانه يقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وكما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- لابن عمه عبد الله بن عباس: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» رواه أحمد والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وبالله التوفيق.

حكم الطيرة

سائلة تقول:

عندنا من العادات أن كبار السن يعتقدون بالطيرة ويقولون: إنها تقتل الأطفال، وهي طائر أكحل اللون، ولا يتركون ملابسهم علىٰ الحبل في الليل، ما حكم التشاؤم في مثل ذلك مأجورين؟

الجواب:

نهىٰ النبي ﷺ عن الطيرة، وحذر منها، فهي نوع من الشرك؛ فقد جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطيرة شرك الطيرة شرك** -ثلاثًا- وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، والواجب علىٰ الإنسان أن يتوكل علىٰ الله، ويعتمد عليه ﷻ، ويعلم أنه سبحانه هو النافع الضار، والواجب علىٰ السائل أن ينصح هؤلاء، ويبين لهم الحق في ذلك، وبالله التوفيق.

حكم وضع اليد على المسترقي

سائل يقول:

إذا أراد الإنسان أن يرقي أو أن ينفث الرقية علىٰ آخر فهل يضع يده عليه أثناء القراءة أم يجلس بجانبه فقط؟

الجواب:

ثبت في الحديث أن النبي ﷺ كان يرقي بعض أصحابه فيمسح عليه بيمينه، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يعوذ بعضهم يمسحه بيمينه: **أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما**» رواه البخاري، فإن رقىٰ من دون وضع يده فهو جائز أيضًا؛ لما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ رقىٰ لديغًا بفاتحة الكتاب، فجعل يتفل عليه، ويقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فكأنما نشط من عقال.. الحديث» وفي السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من عاد مريضًا لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله تعالىٰ**». والله أعلم.

حكم الرقية بالملح والفحم والبخور

سائلة تقول:

وضحوا لنا كيفية الرقية، فنحن نستعمل قليلًا من الملح والفحم وقليلًا من البخور، ثم نبدأ بتدويره علىٰ الشخص المريض، فهل هذه هي الرقية الشرعية؟

الجواب:

الرقية الشرعية هي الرقية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، أما ما حكته السائلة من كونهم يستعملون شيئًا من الملح والفحم والبخور، فهذا لا يجوز، بل هذا ما يستخدمه الدجالون. فالرقية الشرعية تكون بقراءة الفاتحة وآية الكرسي، وغيرها من الآيات والأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ. والله أعلم.

عذاب القبر

سائل يقول:

هل عذاب القبر يكون علىٰ الروح؟ أم علىٰ الروح والبدن؟ أم عليهما؟ علمًا بأنه قد يموت شخص في فلاة فلا يدفن، أو يتمزق بدنه بسبب سباع أو نحوها؟

الجواب:

أخبرَ النبي ﷺ أن ضمة القبر تحصل لكل أحد، ولكن مقل ومستكثر، وقد حصل لبعض الصحابة رضي الله عنهم مثل سعد بن معاذ رضي الله عنه، وقد كان من أفاضل الصحابة، ورئيس الأوس، لما توفي أخبر النبي ﷺ أنه تحمله الملائكة، وأخبر أنه اهتز عرش الرحمن لموته، ومع ذلك لما وضع في قبره رضي الله عنه ضغطه القبر، فقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفا من الملائكة، لقد ضم ضمة ثم فرج عنه**» رواه النسائي.

وسواء مات الإنسان في بر أو بحر أو أكلته السباع أو احترق أو بقي تحت الأنقاض، فإذا كان ممن يناله عذاب القبر فلابد أن يناله.

وقد ثبتت الأحاديث الصحيحة الدالة علىٰ ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهلًا لذلك، والله ﷻ قادر علىٰ كل شيء، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: **إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**، فدعا بجريدة رطبة، فشقها نصفين، وقال: **لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**».

وعذاب القبر يقع علىٰ الروح والبدن، وقد يكون علىٰ الروح وحدها، ولكنه يكون في الغالب علىٰ الروح والبدن، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من عذاب القبر، ويمن علينا وعليكم بالعمل الصالح. والله أعلم.

عدد النفخات في الصور

سائل يقول:

كم عدد النفخات في الصور؟

الجواب:

النفخات في الصور اختلف فيها العلماء:

منهم من قال: إنهما نفختان، عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

ومنهم من قال: إنها ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصور التي يموت الناس فيها، والنفخة الثالثة التي يحيون فيها. فقالوا: إن هذه نفخة الفزع التي هي في النمل ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، والآية الأخرىٰ التي في

الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]. وبالله التوفيق.

صفة الميزان

سائل يقول:

هل الميزان واحد؟ أم متعدد لقوله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]؟

الجواب:

اختلف العلماء في هذا:

فمنهم من قال: إنه واحد توزن فيه الأعمال، وأن له كفتين، كفة توضع فيها السيئات، وكفة توضع فيها الحسنات، فأيهما رجح غلب عليه، ويشهد لهذا الحديث الصحيح في قصة صاحب البطاقة، الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله سيخلص رجلًا من أمتي علىٰ رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟! أظلمك كتبتي الحافظون؟! فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟! فيقول: لا يا رب، فيقول: بلىٰ إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، تخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء**» رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه. فهذا يدل علىٰ أنه ميزان واحد.

والقول الآخر: إنها موازين وليست ميزانًا واحدًا؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦-٩]، فهي موازين نظرًا لكثرة ما يوزن، ولكثرة الأعمال، فكأنها عدة موازين، كما دل ظاهر الآيات.

وبعضهم قال: لا نجزم بواحد من القولين؛ لعدم النص الصريح في هذا، وهذا القول أرجحها، والله أعلم.

مكان النار

سائل يقول:

هل النار في السماء أم في الأرض؟ وما الأدلة من الكتاب والسنة؟

الجواب:

لا شك أن النار في أسفل السافلين، والجنة في أعلىٰ عليين.

فالجنة في السماوات، ولذلك جاء في الحديث أن الفردوس هو أعلىٰ الجنة، وسقفها عرش الرحمن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقًا علىٰ الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها.** فقالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلىٰ الجنة أراه فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**» رواه البخاري.

أما بالنسبة للنار فهي في أسفل سافلين؛ لقوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ [التين: ٥] أي: إلىٰ النار، كما قال المفسرون.

وليس المراد بهذا أراضي الدنيا وسماوات الدنيا، فهذا كله يبدل، حيث يقول ﷻ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من النار. والله أعلم.

الفطرة التي خلق الله عليها العباد

سائل يقول:

ما هي الفطرة التي خلق الله عليها العباد؟

الجواب:

الفطرة هي فطرة الإسلام، وهو دين الإسلام وتوحيده ﷻ، كما جاء عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**» رواه مسلم ، وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء.** ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠]» رواه البخاري.

وسائر ملل الكفر من عباد الأوثان، وعباد القبور وغيرهم ينشئون أولادهم علىٰ هذا والعياذ بالله، فهم يحولون فطرتهم، وإلا ففطرتهم الإسلام كما جاء في الآية. والله أعلم.

حكم الاعتماد على الأبراج

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فبناء علىٰ السؤال الذي ورد من الأخ... من الكويت، وفيه أنه يسأل عن حكم ما انتشر في الصحف والمجلات من ذكر ما يحصل لمن ولد في برج كذا من الأمور المغيبة، وما حكم كتابتها ونشرها والتصديق بها؟

فأقول وبالله التوفيق:

إن العلماء -رحمهم الله- قسموا أحوال من ينظر إلىٰ النجوم إلىٰ أقسام ثلاثة:

الأول: أن يعتقد أن ما يحدث في الأرض إنما هو بتأثير الكواكب، وأن الكواكب لها فعل واختيار، فهذا كفر بالإجماع، وهؤلاء ربما جاءتهم الشياطين وقضت حوائجهم ففتنوا بذلك.

الثاني: أن يعتقد أنه يعرف الحوادث الأرضية بناء علىٰ سير النجوم ومنازلها، ويقول إن ذلك بتقدير الله ومشيئته، وهذا لا شك في تحريمه، بل قال بعض العلماء بكفره؛ لأنه يدعي علم الغيب الذي استأثر الله تعالىٰ بعلمه.

الثالث: أن ينظر في النجوم ليهتدي بها في الطريق، وهذا من فوائد خلق النجوم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍۢ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ﴾ [الملك:

٥]، قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدىٰ بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به». وروي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: «تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق، ثم أمسكوا».

فعلىٰ هذا فإن ما يقوله الكذبة المنجمون الذين ينظرون في النجوم، ويزعمون أنهم يستدلون بها علىٰ ما يقع في الأرض من الحوادث، وأن من ولد في برج كذا حصل له كذا وكذا، ومن تزوج في برج كذا نال كذا وكذا، فإن هذا شيء من أعمال السحر، وهو باطل محرم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، فإن هذا من ادعاء علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فإن رسول الله ﷺ قال في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبي ﷺ: «**مفاتيح الغيب خمس**، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقد حذر النبي ﷺ من تعاطي علم النجوم، فقال: «**من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**» رواه ابن ماجه وأحمد وأبو داود. وقال ابن عباس في قوم يكتبون أباجاد وينظرون في النجوم: «ما أرىٰ من فعل ذلك له عند الله من خلاق».

ولذا فقد حرم الإسلام الذهاب إلىٰ هؤلاء الكهان من المنجمين وأضرابهم، فجاء في الحديث: «من أتىٰ كاهنًا فصدقه بما قال: فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ».

قال ابن الأثير: «وقوله: «من أتىٰ كاهنًا» يشتمل علىٰ إتيان الكاهن والعراف والمنجم.

وأخرج الإمام مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله إن قومًا منا يأتون الكهان، قال: **فلا تأتوهم**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فنهىٰ النبي ﷺ عن إتيان الكهان، والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء، وحكي ذلك عن العرب، وعند آخرين هو من جنس الكاهن وأسوأ حالًا منه، فلحق به من جهة المعنىٰ. وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث، وحلوان الكاهن خبيث**» وحلوانه الذي تسميه العامة (حلاوته) ويدخل في هذا المعنىٰ ما يعطىٰ للمنجم». انتهىٰ كلامه رحمه الله.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتىٰ عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**».

و(العراف) قيل: إنه اسم عام للكاهن والمنجم وغيرهم ممن يتكلم في تقدم المعرفة بالأمور المغيبة.

قال ابن حجر رحمه الله: العراف من يستخرج الوقوف علىٰ المغيبات بضرب من فعل أو قول.

وربما ظن بعض الناس صدق هؤلاء عندما يقع الأمر الذي أخبر به هذا المنجم، فيتعلق به ويصدقه فيما يقول، والحق أن ما وقع مما أخبر به المنجم، إنما هو قول ألقاه لا يدري أيكون أم لا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وما فيه من الحق فهو شبيه بما قال إمام

هؤلاء ومعلمهم الثاني أبو نصر الفارابي، قال ما مضمونه: إنك لو قلبت أوضاع المنجمين، فجعلت مكان السعد نحسًا ومكان النحس سعدًا، أو مكان الحار باردًا أو مكان البارد حارًّا، أو مكان المذكر مؤنثًا أو مكان المؤنث مذكرًا، وحكمت، لكان حكمك من جنس أحكامهم يصيب تارة، ويخطئ أخرىٰ، وذكر عن رئيس منهم أنه قال له: والله إنا نكذب مائة كذبة حتىٰ نصدق في كلمة» اهـ.

فالواجب علىٰ المسلم أن يحفظ عقيدته، وأن يصونها عن تصديق أمثال هؤلاء المنجمين، الذين يحتالون علىٰ أكل أموال الناس بالباطل، وذلك بعدم مجيئهم، وعدم تصديقهم، بل بتيقن كذبهم، وعدم سؤالهم، ولو من غير تصديق لما يقولون، ولذا لما أراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسافر لقتال الخوارج عرض له منجم، فقال: يا أمير المؤمنين لا تسافر؛ فإن القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك، فقال علي رضي الله عنه: «بل أسافر ثقة بالله وتوكلًا علىٰ الله وتكذيبًا لك»، فسافر فبورك له في ذلك السفر حتىٰ قتل عامة الخوارج ، قاله شيخ الإسلام في الفتاوىٰ.

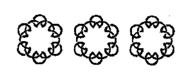
كما أن علىٰ كل مسلم أن يتوكل علىٰ الله وحده، مؤمنًا بقضائه غير مستشرف لمستقبل أيامه، مهتمًا بإصلاح نفسه، وتقوية إيمانه، وليعلم أن من لجأ لهؤلاء المنجمين تشتت قلبه، ووسوست نفسه، وليتذكر قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقوله: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وغير ذلك من الآيات التي تحث المسلم علىٰ التعلق بالله وحده، والإيمان بقضائه وقدره. ويقال لهؤلاء المنجمين ما قاله بعضهم:

أطـلاب النجــوم أحلتمونــا إلـىٰ علــم أرق مــن الهبــاء
كنـوز الأرض لـم تصـلوا إليهـا فكيـف وصـلتم علــم السـماء

وإن الواجب علىٰ ولاة الأمور منع هؤلاء وأمثالهم من نشر كذبهم، وأن يقوموا بزجرهم وردعهم عن هذه الأفعال المحرمة.

هذا وأسأل الله تعالىٰ أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.



حقوق ولاة الأمر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، محمد وآله وصحبه، وبعد:

فإن الشريعة الإسلامية شريعة كاملة جاءت بالحق والعدل والخير والصلاح لكافة المجتمعات، وإن مما جاءت به الشريعة إقامة الولاة والحكام؛ ليطبقوا أحكام الشريعة علىٰ عباد الله ويقيموا العدل بينهم، وقد نظمت هذه الشريعة الكاملة العلاقة بين الحاكم والمحكومين، وإن مما تمس الحاجة لبيانه اليوم معرفة حق ولاة الأمر علىٰ رعيته، فإن من المعلوم أن مصالح الأمم والمجتمعات لا تتم، ولا تنتظم إلا بالتعاون بين الآمر والمأمور، بين الراعي والرعية، وقيام كل بما يجب عليه من واجبات، وأداء ما حمل من أمانة ومسئوليات.

وإن مما يجب اعتقاده علىٰ كل مسلم أن السمع والطاعة لولاة الأمر واجب شرعًا، إلا أن يأمروا بمعصية، فإن أمروا بمعصية، فلا طاعة لهم؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

كما أن من معتقد أهل السنة والجماعة النصح والدعاء لهم، وإعانتهم علىٰ الحق، وتحريم الخروج عليهم، ونزع الطاعة من أيديهم، سواء كانوا أئمة عدولًا صالحين، أم كانوا من أئمة الجور والظلم، ما دام أنهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام، فإن الصبر علىٰ جور الأئمة وظلمهم مع ما فيه من ضرر، أيسر خطرًا من ضرر الخروج عليهم، ولهذا جاء الأمر من الشارع بوجوب السمع والطاعة، وتحريم الخروج علىٰ الأئمة والولاة، وإن جاروا وظلموا، إلا أن يرتكبوا كفرًا بواحًا.

كما أن من حقوق ولاة الأمور على الرعية إجلالهم وتوقيرهم، وتعظيمهم في النفوس؛ لأن ذلك أوقع في هيبتهم، حتى يحذرهم أهل الفسق والفجور.

كما حذر أهل السنة والجماعة من الوقيعة في أعراض الأئمة، والتنقص لهم، أو الدعاء عليهم؛ لأن هذه الأمور من أسباب وجود الضغائن والأحقاد بين الولاة والرعية، ومن أسباب نشوء الفتن والنزاع بين صفوف الأمة.

وقد بين أهل السنة والجماعة حقوق ولاة الأمور على الرعية في كتب العقائد وغيرها، وبينوا ما يجب على الرعية تجاههم، ومن ذلك: قول الإمام الطحاوي رحمه الله:

(ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمرنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة).

قال شارح الطحاوية رحمه الله بعد سوقه الأدلة الدالة على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور:

«فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] كيف قال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾، ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؛ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول للدلالة على أن من أطاع الرسول، فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما

ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله.

وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا؛ فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل؛ فعلينا الاجتهاد بالاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير، فليتركوا الظلم.

وقد قال مالك بن دينار: إنه جاء في بعض كتب الله: (أنا الله، مالك الملك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، ولكن توبوا؛ أعطفهم عليكم» انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى:

«وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور، وغشهم، والخروج عليهم بوجه من الوجوه، كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديمًا وحديثًا، ومن سيرة غيرهم» انتهى.

وقال الإمام النووي في شرح مسلم:

«وأما الخروج عليهم - يعني الأئمة - وقتالهم؛ فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما

ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق. وسبب عدم انعزاله، وتحريم الخروج عليه، ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء، وفساد ذات البين؛ فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه» انتهى.

ونقل ابن حجر في فتح الباري عن ابن بَطَّال قوله:

«وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب، والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن للدماء، وتسكين الدهماء... ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح» انتهى.

ومما جاء عن السلف الصالح رضي الله عنهم في ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا أمير بلا طاعة».

ولما خطب عمر بن عبد العزيز مبينًا حق الوالي والمولى عليهم، قال في بيان حق الوالي على الرعية: «وإن عليكم من ذلك: الطاعة غير المبزوزة، ولا المستكره بها، ولا المخالف سرها علانيتها».

فالواجب على كل فرد من أفراد الدولة: السمع والطاعة لولاة الأمور، ما لم يأمروا بمعصية؛ فإن أمروا بمعصية فلا طاعة لهم في المعصية؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ ولقول النبي ﷺ: «**إنما الطاعة في المعروف**» رواه البخاري ومسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى: «فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة على كل أحد، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال، فإن أعطوه أطاعهم، وإن منعوه عصاهم، فما له في الآخرة من خلاق» انتهى.

الأدلة علىٰ وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر:

فهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، استنادًا للأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة:

فمن كتاب الله:

قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

فقد دلت هذه الآية بصريح المنطوق علىٰ وجوب طاعة ولاة الأمور، ووجوب طاعتهم تستلزم النهي عن عصيانهم، إلا أن طاعتهم مقيدة بطاعتهم لله ورسوله، فإن أمروا بما فيه معصية لله ولرسوله فلا طاعة لهم في ذلك.

أما السنة:

فقد جاءت السنة بتأكيد ما أمر الله به من وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور في غير معصية، وتحريم الخروج عليهم، وإن جاروا وظلموا، إلا أن يُرىٰ منهم كفر بواح، فمن ذلك:

١ - ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: **«علىٰ المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية؛ فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»**.

٢ - وروىٰ البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اسمعوا وأطيعوا، وإن استُعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»**.

٣ - وروىٰ البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت ﵁ قال: «بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلىٰ أثرة علينا، وعلىٰ ألا ننازع الأمر أهله، وعلىٰ أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم» وفي رواية لمسلم: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان**».

٤ - وروىٰ مسلم في صحيحه عن وائل بن حجر ﵁ قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم، ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فقال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم**».

٥ - وروىٰ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها**. قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: **تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم**».

٦ - وروىٰ البخاري ومسلم أيضًا عن عبد الله بن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «**من رأىٰ من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرًا، مات ميتة جاهلية**».

٧ - وروىٰ مسلم عن ابن عمر ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة، ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**».

٨ - وروىٰ مسلم في صحيحه عن حذيفة بن اليمان ﵁ قال: «قلت:

يا رسول الله إنا كنا بشر، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: **نعم**، قلت: وهل من وراء ذلك الشر خير؟ قال: **نعم**، قلت: فهل من وراء ذلك الخير شر؟ قال: **نعم**، قلت: كيف؟ قال: **يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يتسنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: **تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع**».

فقد دلت هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها كثير على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور في غير معصية، وتحريم الخروج عليهم، ونزع الطاعة من أيديهم، وإن جاروا وظلموا، إلا أن يرىٰ منهم كفر بواح.

كما يجب التنبيه إلىٰ أن عدم طاعتهم في المعصية لا يعني عدم طاعتهم مطلقًا، وإنما المقصود عدم طاعتهم في الأمر الذي فيه معصية بخصوصه، مع وجوب السمع والطاعة فيما عدا ذلك، كما هو ظاهر الأحاديث.

وعلىٰ ما ذكر جرىٰ اعتقاد وعمل السلف الصالح -رضوان الله عليهم- من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الإسلام المتبوعين، وغيرهم من العلماء الربانيين.

نسأل الله تعالىٰ أن يوفق المسلمين وولاة أمورهم للتمسك بدينهم، والبصيرة فيه، والعمل به، وأن يعز دينه، ويعلي كلمته، وأن يجمع كلمة المسلمين علىٰ الحق والهدىٰ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

كلمة في التحذير من القاديانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا ورسولنا وإمامنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه إلىٰ يوم الدين، وبعد:

فقد أرسل الله رسوله محمدًا ﷺ بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون.

ولما قدر الله أن يكون هذا الدين هو الخالد إلىٰ يوم القيامة كانت شريعة محمدﷺ كاملة وشاملة لجميع ما تحتاج إليه البشرية صالحة لكل زمان ومكان، لم تترك جانبًا من جوانب الحياة غفلًا من غير هدىٰ ونور، وحفظ الله شريعته التي نجد فيها حلًّا لجميع ما يحل بالمسلم من النوائب والنوازل.

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وقد حفظ هذه الشريعة بحفظ كتابه سبحانه وسنة نبيه ﷺ.

وإن عموم وشمول الشريعة لجميع شؤون الحياة وصلاحها لكل عصر ومصر أمر لا يشك فيه المنصفون حتىٰ من القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا يدينون بدين الحق.

وأما الأديان والمذاهب الأخرىٰ التي جاء بها الأنبياء السابقون -عليهم الصلاة والسلام- فقد كانت مؤقتة بزمن خاص، منحصرة لأقوامهم الذين بعثوا إليهم. ولم يبق من تعاليمها إلا بعض الأمور

والأحكام، وقد حرف وبدل كثير منها، وقد نسخت جميع تلك الشرائع بشريعة محمد ﷺ وهو الدين الوحيد المنجي من عذاب يوم القيامة بعد بعثة محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

ولذلك كان دينه ﷺ خاتم الأديان ومهيمنًا عليها وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، لم يبق في شريعته مجال لزيادة ونقص لأحد كائنًا من كان.

قال تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وأمره الله ﷻ أن يصدع ويعلن: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال ﷺ: «**تركتكم علىٰ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**» رواه أحمد وابن ماجه.

فلا دين بعد دين النبي المختار، ولا نبي بعده ﷺ، وكل من ادعىٰ النبوة بعده فهو كذاب دجال أفاك أثيم كافر بإجماع أمة محمد ﷺ كما هو معروف ومبسوط في كتب أئمة الإسلام.

هذا وقد ظهر في الأيام المتأخرة في أرض الهند رجل يسمىٰ مرزا غلام أحمد القادياني ادعىٰ النبوة، وألغىٰ بعض شرائع الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، وأيدته أمم الكفر، والكفر ملة واحدة، ضد الإسلام، بل حمته

وأغدقت عليه الأموال وآوته في بلادها، وصار له أعوانًا وزبانية من ضعاف العلم والإيمان، وبعضهم دخل في نحلته طمعًا في حطام الدنيا، فانتشروا في العالم هنا وهناك ينشرون شروره وأباطيله، وهم يسمون أنفسهم مسلمين ويقيمون المساجد تمويهًا وتضليلًا علىٰ السذج من الناس، وقد قاومه المسلمون منذ نشأته، ولا يزالون يقاومون نحلتهم الباطلة، وذلك واجب علىٰ المسلمين أن يبذلوا كل جهودهم وطاقاتهم لبيان زيغهم وضلالهم، ويقوموا مثنىٰ وفرادىٰ لدفع شر هذه النحلة الباطلة الكافرة.

وقد قام مجموعة من العلماء فكونوا جمعية للتحذير من القاديانية، ولهم نشاطات قيمة في بلاد مختلفة في تفنيد وتكذيب من ادعىٰ النبوة بعد النبي محمد ﷺ كما هو معروف في القرآن الكريم وأقاموا مركزًا، وأنشأوا مجلة تصدر من بلاد الغرب، من أهم أهدافها الرد علىٰ القاديانية وفضح أباطيلها والتصدي لها مع الدعوة إلىٰ الله عامة، وقد اطلعت علىٰ العدد الأول منها باللغة العربية وسرني ما اطلعت عليه فيها من البحوث والمقالات.

كما أن الجمعية عازمة علىٰ إصدار المجلة باللغة الانجليزية والفرنسية، كما أنه عازم علىٰ إصدار المطبوعات باللغات المختلفة فنشكر القائمين علىٰ المجلة والمركز وندعو لهم بالتوفيق والسداد، فإنه عمل مبرور وجهد مشكور، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

نصيحة للمسلمين في الباكستان(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد رغب إلينا جمع من إخواننا الباكستانيين الغيوريين على دينهم وأمتهم وبلادهم أن نكتب نصيحة لإخواننا المسلمين في جمهورية باكستان من أجل الأحداث الجارية الآن في مدينة إسلام آباد.

فنقول لهم ولعامة إخواننا المسلمين:

إن الله -جل وعلا- بعث نبيه محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، بعثه رحمة للعالمين، وهدى للناس أجمعين، فجمع الله به الناس بعد الفرقة، وألف بين قلوب المؤمنين، فصاروا بنعمة الله إخوانًا متحابين، كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ولقد حذر ربنا -جل وعلا- من التنازع والاختلاف، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. كما حذر النبي ﷺ أمته من الفرقة والاختلاف، والتنازع والتناحر، فقال ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» رواه البخاري ومسلم.

وإن الواجب على علماء الأمة وقادتها وعموم المسلمين أن يتحدوا صفًا واحدًا نصرة لهذا الدين، ورفعًا لشأنه وإعلاء لكلمته، وحفظًا لأهله،

---

(١) كتب حفظه الله هذه النصيحة في ١٢/٤/١٤٢٨هـ، وترجمت للأوردية والإنجليزية ونشرت في الصحف الباكستانية وعدد من الصحف العالمية.

ورعاية لمصالحه.

فعلىٰ القادة الالتزام بأحكام الشرع، وتطبيقه بين المسلمين، وتحقيق العدل بينهم، ورفع الظلم عنهم.

وعلىٰ العلماء وطلبة العلم، وعموم المسلمين السمع والطاعة لهم بالمعروف، وعدم شق عصا الطاعة علىٰ الحاكم المسلم، والصبر علىٰ جوره، عملًا بقوله ﷺ: «**تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع**» رواه مسلم.

فبطاعتهم تحفظ الأنفس والأعراض والأموال، وتقام شعائر الدين، ويكبت الأعداء، وتصان الحرمات، وعلىٰ هذا الهدي والمنهج كان أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم من الأئمة، كالإمام أبي حنيفة النعمان، والإمام مالك بن أنس، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، وغيرهم من أئمة الإسلام.

أيها المسلمون:

ارجعوا لكتاب ربكم، وتمسكوا بسنة نبيكم ﷺ، واحذروا من الفرقة والاختلاف، وشق عصا الطاعة لمن ولاه الله أمركم من المسلمين.

واعلموا أن قتل النفس المعصومة من أعظم المحرمات، ومن السبع الموبقات، يقول الله ﷻ: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٩٣]. وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم**

الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» رواه البخاري ومسلم، وقال ﷺ: «**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**» رواه البخاري، فقد حرم الإسلام الإقدام على قتل الغير، كما حرم أيضًا الإقدام على قتل النفس، فقال -جل وعلا-: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩-٣٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة: ١٩٥].

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون، فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها، يضربها بسيفه، فقال: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: **أما إنه من أهل النار**. فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معه، كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحًا شديدًا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه، فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: **وما ذاك**؟ قال: الرجل الذي ذكرت آنفًا أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحًا شديدًا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه في الأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه، فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: **إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة**».

أيها العلماء والدعاة والإخوة والأخوات:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، وجمع كلمة المسلمين على الحق، والحذر من الفرقة والتنازع، فإن أعداء الأمة الإسلامية كانوا ولا زالوا يتربصون بكم الدوائر، ويحيكون المؤامرات والمخططات للوقيعة بين المسلمين، وتفريق شملهم، وجعلهم أحزابًا وطوائف، يضرب بعضهم رقاب بعض. ولقد انكشف للعالم بأسره ما يكنه أعداء الإسلام لهذا الدين وأهله، خصوصًا في هذه السنوات الأخيرة، فاحذروا أن تكونوا عونًا لهم، فإنهم والله يفرحون بضعفكم وفرقتكم.

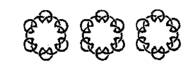
ثم إنكم أيها الإخوة في بلد إسلامي عريق، هو قلعة الإسلام، كما قال الملك فيصل ي رحمه الله، وهو الدرع الواقي للمسلمين اليوم بإذن الله، فقد انفردت بلادكم من بين سائر البلاد الإسلامية بسلاح أرهبت به أعداء الملة والدين، فاحفظوا هذه النعمة، واصرفوا هذه القوة على الأعداء، واتحدوا ضدهم، ممتثلين أمر الله سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وختامًا أوصيكم ونفسي وعامة إخواني المسلمين بوصية النبي المصطفى ﷺ، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: **أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، فمن أدرك**

ذلك منكم، فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ» رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

أسأل الله تعالىٰ أن يجمع كلمة المسلمين علىٰ الحق والهدىٰ، ويرينا الحق حقًا، ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا، ويرزقنا اجتنابه.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.



رسالة في فضل الدعوة

إلى الله تعالى وصفتها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وعلىٰ آله وصحبه، بعد:

فإن الدعوة إلىٰ الله ﷻ من أفضل الأعمال، وأجل الطاعات، وهي مهمة المرسلين، الذين اصطفاهم الله تعالىٰ، واختارهم لدعوة الخلق إلىٰ ربهم وهدايتهم إليه، وبيان الطريق الموصل إلىٰ الله وإلىٰ جنته !!

فالله ﷿ يقول لنبيه الكريم محمد ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين وخاتم النبيين ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

وإن من أحسن الأعمال وأفضلها الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، فهذه الآية الكريمة ترسم لنا صفة الداعي إلىٰ الله، وتبين لنا أن سلوك هذه الطريقة، التي هي أحسن الطرق وأحبها إلىٰ الله، وأنفعها لعباد الله من الداعين والمدعوين، كما أنها هي طريقة المرسلين، بل هي طريقة أفضل الرسل محمد ﷺ وناهيك بها طريقة، فقد قال كثير من المفسرين: إن المراد بذلك هو رسول الله ﷺ، وقال آخرون: هي عامة في كل من دعا إلىٰ الله علىٰ هذه الكيفية.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

«﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: دعا عباد الله، ﴿وَعَمِلَ

صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: وهو في نفسه مهتد بما يقوله، نفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بفعل الخير وترك الشر، ويدعو الخلق إلىٰ الخالق، وهذه عامة في كل من دعا إلىٰ خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولىٰ بذلك» اهـ.

وقال الإمام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

«ومن أحسن أيها الناس قولًا ممن قال ربنا الله، ثم استقام علىٰ الإيمان به، والانتهاء إلىٰ أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلىٰ ما قال وعمل به من ذلك... ثم ساق سنده عن الحسن البصري لما تلا هذه الآية، قال: هذا حبيب الله، هذا وليّ الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب الخلق إلىٰ الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلىٰ ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال إنني من المسلمين، فهذا خليفة الله... وساق بسنده عن قتادة هذه الآية، وقال: هذا عبد صدّق قولَه عملُه، ومولجه مخرجه، وسره علانيته، وشاهده مغيبه، وإن المنافق خالف قوله عمله، ومولجه مخرجه، وسره علانيته، وشاهده مغيبه» اهـ.

فالداعي إلىٰ الله تعالىٰ لما صفت سريرته مع ربه، واكتمل إيمانه به، وقام بما وجب عليه من الإيمان والعمل، صفت سريرته أيضًا مع الخلق، فأحب لهم ما يحب لنفسه، وأحب لإخوانه المؤمنين أن لا يراهم علىٰ ما يخالف ما أمرهم الله به، فأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، وأشفق عليهم كما يشفق علىٰ نفسه، كما جاء في الحديث المتفق عليه: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه» بل يحب لمن لم يؤمن أن يكون مؤمنًا، فدعاه إلىٰ الله، ورغبه في الخير وعمل ما في وسعه في سبيل

هدايته للإسلام، وإلىٰ صراط الله المستقيم، عملًا بقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «فو الله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم».

وكما يعلم الجميع أن من أهم شروط الداعية الاستقامة بنفسه، وأن يكون قدوة للناس في أفعاله قبل أقواله، فإن الاقتداء بالأفعال أبلغ من الأقوال، ولا يخفىٰ علىٰ الجميع أن الذين اعتنقوا الإسلام في كثير من شرقي آسيا وأواسط أفريقيا وغيرهما اعتنقوه رغبة ومحبة له، حينما رأوا المسلمين الذين يفدون إليهم للبيع والشراء علىٰ جانب كبير من الوفاء، والأمانة، وحسن المعاملة، وهؤلاء المسلمون لم يذهبوا من أجل الدعوة، ولكنهم يضربون في الأرض، يبتغون من فضل الله. لكن لما رأىٰ الناس ما هم عليه من الصفات الحميدة، والوفاء بالوعود، والعهود، والصدق، والإنصاف، والبر، والإحسان، أحبوهم وأحبوا ما هم عليه من الصفات، وأخبرهم المسلمون أن ديننا يأمرنا بذلك، فأحب أولئك هذا الدين، واعتنقوه واغتبطوا به، كما أن البلاد التي فتحها المسلمون الأولون من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين ومن بعدهم دخل أهلها بعد ذلك في الإسلام رغبة ومحبة له، ولأهله بسبب معاملتهم الحسنة، والعدالة فيهم، وعدم هضمهم شيئًا من حقوقهم.

فمن أنفع طرق الدعوة استقامة الداعي واتصافه بما يأمر به واجتنابه ما ينهىٰ عنه، أما من خالف قوله فعله، فهذا لا يقبل منه وعظه وتذكيره، بل ربما كان محل سخرية للناس، وسببًا لوقوعهم في عرضه، وقديمًا قيل:

وغير تقى يأمر النـــاس بالتقىٰ طبيب يداوي الناس وهو سقيم

والله ﷻ نهىٰ عن هذا الوصف وعابه ومقت أهله عليه، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ

مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣]، وقال سبحانه: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤] فليس من العقل أن ينصح الإنسان غيره، ويهمل نفسه؛ فمن وعظ غيره ولم يتعظ فكأنه أتىٰ بما لا يقبله العقل السليم، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فيكفي ما رواه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتىٰ بالرجل يوم القيامة فيلقىٰ في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحىٰ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر؟ فيقول: بلىٰ كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهىٰ عن المنكر وآتيه**».

ومما ينبغي للداعي أيضًا أن يكون حليمًا صبورًا علىٰ ما يلاقيه من صعوبات في سبيل الدعوة، فإن الحلم والصبر والاستمرار علىٰ الدعوة من أنفع الأمور علىٰ تحصيل المقصود، فما نجح من نجح في دعوته إلىٰ الله إلا بهذا، والكل يعرف صبر الأنبياء والمرسلين في دعوتهم لقومهم، سيما أفضل الخلق محمد ﷺ، وكذلك من سار علىٰ نهجه من سائر الدعاة والمصلحين.

وإن المسؤولية علىٰ الداعي تعظم وتخف علىٰ اختلاف أحوال الداعي وأحوال المدعو.

أما أحوال الداعي فقد يكون لديه من الحجة والبيان والبلاغة ما يستطيع أن يقنع به أغلب المدعوين، ما عدا المعاند منهم، فهذا لا حيلة ولا مطمع فيه، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]. وقد يكون الداعي مع قوة استعداده في الإقناع له مكانه بين قومه، وبني جنسه، وفي محيط دعوته، فهذا عليه من الواجب

أكثر ممن هو دونه في تلك الصفات، وهكذا كلما كان أقدر علىٰ الدعوة كانت المسئولية عليه أعظم، ولا يعني هذا أن من نقصت قدرته يتخلىٰ أو يقول: فيه من هو أقدر مني، فيترك الدعوة، فإنه قد يكون الأضعف درجة في هذا الباب أنفع من غيره؛ لوجود صفات أخرىٰ فيه، مثل المواظبة والمثابرة علىٰ الدعوة، والتحمل والصبر، وعدم السآمة والملل. فكم من دعاة قد جعل الله لهم تأثيرًا كبيرًا، ونفعًا عظيمًا في مجال الدعوة، واهتدىٰ علىٰ أيديهم فئام من الناس بسبب تواضعهم وصبرهم ومثابرتهم، كما قال بعضهم في الحرص علىٰ طلب العلم، وفائدة المثابرة عليه، وعدم الملل:

اطلب العلم ولا تضجرا ... فما لطالب العلم أن يضجرا
ألم تر إلىٰ الحبل بتكراره ... في الصخرة الصماء قد أثرا

فالشاعر يصف الحبل الذي هو أحد أدوات السقي بكثرة مروره علىٰ حافة البئر، قد أثر في تلك الصخرة الصلبة، بسبب كثرة مروره عليها، مع أنه حبل لين، وهذه صخرة صلدة، فهذا مثل لبيان فائدة المثابرة والاستمرارية في تحصيل المقصود، فالاستمرار علىٰ الدعوة والمثابرة عليها، وعدم السآمة والملل، من أقوىٰ أسباب تأثيرها ونفعها.

وقال آخر:

أخلق بذي الصبر أن يحظىٰ بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وإن من أكبر العون علىٰ الصبر والتحمل والمثابرة، صدق النية، والإخلاص، واستحضار الثواب المترتب علىٰ ذلك، وكذا التأسي بأنبياء الله ورسله، والتذكر لسيرتهم، وما كانوا يقومون به ويعانونه من الصبر وتحمل الأذىٰ في هذا السبيل، ولهذا يذكرنا القرآن بذلك في قوله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ

﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ويأمرنا سبحانه بالتأسي والاقتداء بهم، كما قال سبحانه: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، ويقول سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وكذلك التأسي بفعل الأنبياء والسلف الصالح من هذه الأمة من الصحابة وغيرهم، فإذا ذكر المسلم ما مر علىٰ نبي الله إبراهيم خليل الرحمن، وعلىٰ موسىٰ كليم الرحمن، وعلىٰ محمد رفيع المقام، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام. فهذا يقذفه قومه في النار من أجل دعوته إلىٰ توحيد الله، وينجيه الله منها، وهذا يضطره عدوه إلىٰ البحر، فيجعل الله له مخرجًا، ويهلك عدوه. ومحمد ﷺ الكل يعرف سيرته، وماذا حصل عليه من أجل الدعوة إلىٰ الله، يضع أعداؤه سلىٰ الجزور علىٰ ظهره وهو ساجد في حرم الله، ويوضع الشوك في طريقه، ويرمىٰ القذر في طريقه، وما حصل عليه يوم الطائف، وما لاقاه يوم أحد، فكانت حياته ﷺ في جهاد وفي صراع مع أعداء الإسلام، كما كان في مكة بين المشركين وكم ضايقوه وضيقوا عليه، وفي المدينة كان برهة من الزمن بين اليهود يتربصون به الدوائر، وكم حاولوا إيقاع الأذىٰ به، وحاولوا قتله مرارًا بأنواع المكر والحيل، ولكن الله سلم وأهلك عدوه، وكما كان ﷺ بين المنافقين يتربصون به، ويثيرون الفتن، ويتحينون الفرص لتفريق الكلمة، وتشتيت الشمل، ويعملون أسباب الفشل في بعض الغزوات، وكم هموا بما لم ينالوا وهو ﷺ في كل هذا صابر مجاهد حتىٰ لحق بالرفيق الأعلىٰ.

وهؤلاء أصحابه من المهاجرين والأنصار كم بذلوا نفوسهم وأموالهم وكم هجروا أهلهم وراحتهم في سبيل الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ،

فهذا أبو بكر رضي الله عنه ماذا لقيه من المشركين، حينما كان يمارس شعائر دينه، ويدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقيه بنفسه، وكيف كان يدعو إلىٰ دين الله وتوحيده بمكة. دخل في الإسلام بسبب دعوته أعيان المهاجرين الأولين، ثم كل من هؤلاء قد قام بدور كبير في جهاد أعداء الله تعالىٰ بالسيف وبالحكمة والموعظة الحسنة، وكيف كانت نتيجة دعوته، لقد كان منها إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهما وقومهما، ودخل قومهما في دين الله أفواجًا، فانظر إلىٰ هذا الداعية المبارك، وهذه الدعوة المؤثرة التي كانت سببًا لإسلام جل أهل المدينة.

تذكر كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسابقون ويتنافسون في المسارعة إلىٰ أعمال الخير، والدعوة والجهاد في سبيل الله، وكيف كانت حالة الذين تأخر إسلامهم، وكيف كان ندمهم وأسفهم علىٰ ما فاتهم من قدم الصحبة، والمشاركة الكريمة مع الرسول صلى الله عليه وسلم. لقد كانوا يقومون بأعمال جليلة، يبذلون أنفسهم وأموالهم، ويرتحلون بأهليهم إلىٰ الثغور، ومواطن الجهاد والدعوة، لعلهم يلحقون بسلفهم، ويعوضون ما فاتهم من قدم الإسلام والصحبة.

فهذا الحارث بن هشام رضي الله عنه يروي لنا أهل السير والتراجم كيفية خروجه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه وأهله وماله. فيقول ابن عبد البر رحمه الله في الاستيعاب: خرج الحارث بن هشام من مكة فجزع أهل مكة جزعًا شديدًا فلم يبق أحد يطعم إلا خرج معه يشيعه حتىٰ إذا كان بأعلىٰ البطحاء أو حيث شاء الله من ذلك وقف ووقف الناس حوله يبكون، فلما رأىٰ جزع الناس قال: «أيها الناس إني والله ما خرجت رغبة بنفسي عن أنفسكم ولا اختيار بلد عن بلدكم، ولكن كان هذا الأمر فخرجت فيه



رجال من قريش، والله ما كانوا من ذوي أنسابها ولا في بيوتاتها فأصبحنا والله، ولو أن جبال مكة ذهبًا أنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يومًا من أيامهم، والله لأن فاتونا به في الدنيا لنلتمس أن نشاركهم في الآخرة فاتقىٰ الله امرؤ فعل».

فتوجه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلىٰ الشام واتبعه ثقله فأصيب شهيدًا، وقد كان من شجاعته وهو يحمل علىٰ الكفار يرتجز بقوله:

إني بربي والنبي مؤمن ... والبعث من بعد الممات موقن

أقبح بشخص للحياة موطن

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يضرب به المثل في كرمه وسؤدده ومكانته بين الناس، وقد قال الشاعر:

أظننت أن أباك يوم تسبني ... في المجد كان الحارث بن هشام

أولىٰ قريش بالمكارم والندىٰ ... في الجاهلية كان والإسلام

فهؤلاء أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ما منَّ الله عليهم به من فضل الصحبة والمكانة العالية، كانوا يتسابقون ويتنافسون في الدعوة إلىٰ الله، وفي طلب الشهادة والدار الآخرة، فينبغي أن يكون لنا بهم أسوة ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾[الأحزاب: ٢٣]، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، ومنَّ علينا جميعًا بالاقتداء والتأسي بهم.

ولا يخفىٰ علىٰ الجميع طريقة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، وسر نجاح دعوته، وهو صبره وصدقه، ثم بسبب ذلك هيأ الله له الإمام محمد بن سعود؛ ليشد عضده ويناصره، حتىٰ وصلت دعوته إلىٰ ما هو معلوم الآن للجميع، فالصبر أساس لكل عمل، ولذلك ذكره الله في

القرآن في أكثر من تسعين موضعًا: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٧-١٢٨].

وما أحوج الداعي إلىٰ الصبر وإلىٰ الحلم والعلم، فكمال العلم بالحلم، ولين الكلام مفتاح القلوب، فيستطيع بحلمه وحسن أسلوبه أن يعالج أمراض النفوس، وهو هادئ البال، مطمئن الضمير، لا يستفزه الغضب، ولا يستثيره الحمق، فتنفر منه القلوب، وتشمئز النفوس، فلا يقبل منه، وحسبنا قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومن الأمور الأساسية للدعوة أن يكون الداعي إلىٰ الله علىٰ بصيرة تامة بما يدعو إليه، ولا يتكلف القول بما لم يحط به علمًا، وأن يكون علىٰ جانب من الورع، بحيث إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستنكف من ذلك، فإن أعلم الخلق ﷺ كثيرًا ما يسأل، ويرجئ الجواب حتىٰ يأتيه جبريل بالجواب من عند الله، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يتدافعون الفتوىٰ، وأئمة الإسلام أجابوا في أحوال كثيرة بلا أدري، منهم الإمام مالك والإمام أحمد وغيرهم كثير، فالداعية عندما يسأل عن شيء، ولا يستحضر الحكم فيه؛ ينبغي أن يؤخر الجواب حتىٰ يراجع أقوال العلماء، أو يبحث مع إخوانه في ذلك؛ ليكون علىٰ بصيرة من دعوته ومن فتواه، وأن تكون نيته وقصده خالصًا لوجه الله، لا يقصد بذلك رياء ولا سمعة ولا ثناء من الناس، وينبغي أن تكون هذه الآية دوامًا في ذهنه ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فيكون علىٰ بصيرة بما يدعو إليه وعلىٰ بصيرة في طريق الدعوة، وكيف يوصلها إلىٰ

المدعو بأسلوب مقنع، يتصيد فيها قلوب المدعوين، فإن كثيرًا من المدعوين
لا توجد عندهم الرغبة التامة في قبول الحق، ولكن بالمعالجة الحكيمة والأسلوب المقنع قد يحصل المقصود، والقرآن الكريم يرشد إلىٰ ذلك في قوله سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويقول ﷻ: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤].

ونختم هذه الرسالة بجملة من الأحاديث النبوية وبعض أقوال السلف الصالح في بيان كيفية الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ؛ لتكون منهجًا وطريقًا يهتدي به الداعية في دعوته إلىٰ الله، ولتكون دعوته علىٰ بصيرة امتثالًا لأمر الله تعالىٰ، وقد جمعتها من كتب أهل العلم الناصحين لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، نسأل الله أن ينفع بها ويجعلها عونًا لنا علىٰ حسن الدعوة إلىٰ الله، فمن هذه الأحاديث:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر علىٰ معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلىٰ الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» رواه مسلم.

٢ - وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته،**

ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة». رواه أبو داود واللفظ له والترمذي وحسنه.

٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يستر عبد عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة**» رواه مسلم.

٤ - وعن دخين أبي الهيثم، كاتب عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قلت لعقبة بن عامر: إن لنا جيرانًا يشربون الخمر، وأنا داع الشرط ليأخذوهم، فقال عقبة: ويحك، لا تفعل، ولكن عظهم وهددهم، قال: إني نهيتهم، فلم ينتهوا، وإني داع الشرط ليأخذوهم، فقال عقبة: ويحك، لا تفعل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «**من ستر عورة مؤمن، فكأنما استحيىٰ موءودة في قبرها**» رواه أبو داود والنسائي بذكر القصة وبدونها، وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

٥ - وعن يزيد بن نعيم عن أبيه «أن ماعزًا أتىٰ النبي صلى الله عليه وسلم فأقر عنده أربع مرات فأمر برجمه، وقال لهزال: **لو سترته بثوبك كان خيرًا لك**» رواه أبو داود والنسائي.

٦ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتىٰ يفضحه بها في بيته**» رواه ابن ماجه بإسناد حسن.

٧ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادىٰ بصوت رفيع فقال: **يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلىٰ قلبه لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة**

أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله».

قال: ونظر ابن عمر يومًا إلىٰ البيت أو إلىٰ الكعبة فقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك». رواه الترمذي.

٨ - وعن معاوية ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم، أو كدت تفسدهم**». رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

٩ - عن أبي هريرة ﵁ قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فقام إليه الناس ليقعوا به فقال النبي ﷺ: «**دعوه وأريقوا علىٰ بوله سجلًا من ماء - أو ذنوبًا من ماء- فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**» رواه الجماعة إلا مسلمًا.

١٠ - وعن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه !! قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لا تزرموه، دعوه**» فتركوه حتىٰ بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه، ثم قال: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله ﷻ والصلاة وقراءة القرآن**» أو كما قال رسول الله ﷺ. قال: فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه. متفق عليه.

١١ - وعن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون

بأيديهم علىٰ أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلىٰ رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»، أو كما قال رسول الله ﷺ. رواه مسلم.

فهذه الأحاديث كلها عن النبي ﷺ تبين لنا المنهج الشرعي في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

وإن مما يحسن بالداعي معرفته المنهج الصحيح في الفتيا، والتحذير من القول علىٰ الله بغير علم، وقد جاء في ذلك عن السلف أقوال كثيرة، نذكر بعضها منها، فمن ذلك:

قال أبو موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: من كان عنده علم فليعلمه الناس، وإن لم يعلم فلا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين ويمرق من الدين.

وقال السفاريني رحمه الله: وإن دعا الإمام -أي: السلطان الأعظم- العامة إلىٰ شيء، وأشكل عليهم، سألوا أهل العلم، فإن أفتوهم بوجوبه، قاموا به، وإن أخبروهم بتحريمه، امتنعوا منه، وإن قالوا: مختلف فيه، وقال السلطان: يجب، لزمهم طاعته، كما يجب طاعته في الحكم. ذكره القاضي.

وقال الإمام ابن عقيل رحمه الله **في معتقده**: ومن لم يعلم أن الفعل الواقع من أخيه المسلم جائز شرعًا أم غير جائز، فلا يحل له أن يأمر أو ينهىٰ. وكذا ذكره القاضي. وقد روي هذا عن الإمام أحمد رحمه الله.

وقال الإمام أحمد في رواية المروذي: لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس علىٰ مذهبه، ولا يشدد عليهم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوىٰ (٢٢/ ٢٥٤):

«وجمهور المتعصبين لا يعرفون من الكتاب والسنة إلا ما شاء الله، بل يتمسكون بأحاديث ضعيفة أو آراء فاسدة، أو حكايات عن بعض العلماء والشيوخ، قد تكون صدقًا، وقد تكون كذبًا، وإن كانت صدقًا فليس صاحبها معصومًا، يتمسكون بنقل غير مصدق عن قائل غير معصوم، ويدعون النقل المصدق عن القائل المعصوم، وهو ما نقله الثقات الأثبات من أهل العلم، ودونوه في الكتب الصحاح عن النبي ﷺ» اهـ.

وقال رَحِمَهُ اللهُ في الفتاوىٰ (٢٢/ ٣٥٧) لما ذكر ذم الاختلاف والتنازع:

«الرابع: التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف، حتىٰ يصير بعضهم يبغض بعضًا ويعاديه، ويحب بعضًا ويواليه علىٰ غير ذات الله، وحتىٰ يفضي الأمر ببعضهم إلىٰ الطعن واللعن والهمز واللمز، وبعضهم إلىٰ الاقتتال بالأيدي والسلاح، وببعضهم إلىٰ المهاجرة والمقاطعة حتىٰ لا يصلي بعضهم خلف بعض، وهذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله ﷺ» اهـ.

وقال حماد بن سلمة: إن صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة، فقال: دعوني أنا أكفيكم، فقال: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك يا عم؟ قال: أحب أن ترفع من إزارك، فقال: نعم وكرامة، فرفع إزاره، فقال لأصحابه: لو أخذتموه بشدة، لقال: لا ولا كرامة وشتمكم.

وقال محمد بن زكريا الغلابي: شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة، وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله، وإذا في طريقه غلام من قريش سكران، وقد قبض علىٰ امرأة فجذبها، فاستغاثت فاجتمع الناس يضربونه، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه، فقال للناس: تنحوا عن ابن أخي، ثم قال: إلي يا ابن أخي، فاستحىٰ الغلام، فجاء إليه فضمه إلىٰ نفسه، ثم قال له: امض معي، فمضىٰ معه حتىٰ صار إلىٰ منزله، فأدخله الدار، وقال لبعض غلمانه: بَيِّتْهُ عندك، فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه، ولا تدعه ينصرف حتىٰ تأتيني به، فلما أفاق، ذكر له ما جرىٰ فاستحيا منه، وبكىٰ، وهم بالانصراف، فقال الغلام: قد أمر أن تأتيه، فأدخله عليه، فقال له: أما استحييت لنفسك؟ أما استحييت لشرفك؟ أما ترىٰ من ولدك؟ فاتق الله، وانزع عما أنت فيه، فبكىٰ الغلام منكسًا رأسه، ثم رفع رأسه، وقال: عاهدت الله تعالىٰ عهدًا يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه، وأنا تائب، فقال: ادن مني، فقبل رأسه، وقال: أحسنت يا بني، فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث، وكان ذلك ببركة رفقه، ثم قال: إن الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرًا، فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون به ما تطلبون.

وقال الخليفة العباسي المأمون لما وعظه واعظ، وعنف له في القول، قال له: يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلىٰ من هو شر مني، وأمره بالرفق، فقال تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

وقيل للإمام العلامة ابن عقيل، كما في الفنون: أسمع وصية الله ﷻ يقول: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾

[فصلت: ٣٤]، وأسمع الناس يعدون من يظهر خلاف ما يبطن منافقًا، فكيف لي بطاعة الله تعالىٰ والتخلص من النفاق؟ فقال: النفاق هو إظهار الجميل، وإبطان القبيح، وإضمار الشر، مع إظهار الخير لإيقاع الشر، والذي تضمنته الآية إظهار الحسن في مقابلة القبيح لاستدعاء الحسن. قال في الآداب: فخرج من هذه الجملة أن النفاق إبطان الشر، وإظهار الحسن؛ لإيقاع الشر المضمر، ومن أظهر الجميل والحسن في مقابلة القبيح ليزول الشر فليس بمنافق، لكنه يستصلح، ألا تسمع إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[فصلت: ٣٤]، فهذا اكتساب استمالة ودفع عداوة وإطفاء لنيران الحقائد، واستنماء الود وإصلاح العقائد. فهذا طلب المودات واكتساب الرجال.

نسأل الله سبحانه أن يمن علينا جميعًا بالإخلاص في القول والعمل والتوفيق لما يحبه ويرضاه. وصلىٰ الله وسلم علىٰ خير خلقه وأفضل رسله وعلىٰ آله وصحبه.



رسالة في شرح
بعض مسائل الجاهلية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذه رسالة مختصرة في شرح بعض مسائل الجاهلية التي ذكرها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه القيم «مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية». نسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن يتم شرح الباقي من تلك المسائل.

* **تمهيد:**

إن أعمال أهل الجاهلية أعمال متباينة لا تسير على نهج قويم، ولا ترتبط بنظام، ولا يحصرها كتاب، ولا يحيط بها كاتب، وقد بين القرآن الكريم والسنة النبوية بعض أعمالهم، وحذر منها.

وقد أورد شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ نحو مائة مسألة من أعمال الجاهلية، التي حذرنا منها الشرع الحنيف، جمعها رَحِمَهُ ٱللَّهُ من القرآن والسنة، ثم جاء بعده الشيخ العلامة المحقق السيد محمود شكري الألوسي وشرحها شرحًا مختصرًا، وأشار إلى ما ورد فيها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ونظرًا لأهمية هذه المسائل فقد رغبت في شرح بعضها تنبيهًا للغافلين، ونصيحة لإخواننا المسلمين، فنقول وبالله التوفيق:

لقد بعث الله عَزَّ وَجَلَّ رسوله محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأنزل عليه القرآن العظيم، الذي

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، أنزله ربنا -جل وعلا- تبيانًا لكل شيء.

ففيه بيان العقيدة الصحيحة التي رضيها لنا سبحانه، وأمرنا بها.

وفيه خبر الأحكام التي شرعها لعباده، وأحسنها، وأعدلها ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

فيه الدعوة لكل خير ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

فيه الدعوة لخير أنواع السلوك والأخلاق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠].

فيه الأمر بالصدق، والصبر، والتحمل، والعفو، والإعراض عن الجاهلين ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

فيه الأمر ببر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلىٰ الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، والنهي عن قتل النفس بغير الحق، والنهي عن التكبر، والتجبر، وعن الظنون السيئة، وأمر بحفظ السمع والبصر والفؤاد عن كل ما لا يجوز، وعن القول بلا علم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وبالجملة فإنه دعا إلىٰ كل خير، وحذر من كل شر، وبمثل هذه الأمور جاءت السنة النبوية، فعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه» رواه أبو داود.

فالقرآن الكريم والسنة النبوية هما الضياء والنور، وسبيل النجاة، كما جاء عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: **قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة، وإن عبدًا حبشيًّا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد**» رواه ابن ماجه.

* مسألة: التعبد بإشراك الصالحين في عبادة الله تعالى:

كان أهل الجاهلية يعبدون الله تعالى، ولكن لا يفردونه بالعبادة، ولا يوحدونه، بل يعبدون معه الأصنام، والأوثان، والأشجار، والأحجار، والأولياء، والصالحين، ويزعمون أن هذا من الدين، وأنه يقربهم إلى الله زلفى ، وهذه المسألة من أعظم ما بُعث الرسول ﷺ بإزالتها، بل هي طريقة أنبياء الله ورسله من أولهم إلى آخرهم، وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبودية سبحانه، والحذر من الشرك، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وهذه هي ملة إبراهيم عليه السلام التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣]، وملة إبراهيم هي قوله عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾[الزخرف: ٢٦]، وهذا هو معنى كلمة الإخلاص، كلمة التوحيد، لا إله إلا الله، وهي العروة الوثقى التي

من استمسك بها فقد فاز ونجا، يقول ﷻ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فهذه المسألة التي هي عبادة الله تعالىٰ والكفر بما يعبد من دون الله كائنا من كان، من أعظم ما خالف بها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، فإن أهل الجاهلية لا يرون بذلك بأسًا، بل يرونه من الدين، ومما يقربهم إلىٰ ربهم؛ ولذلك لما قال لهم رسول الله ﷺ: قولوا لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص: ٥-٧].

وما أشبه الليلة بالبارحة فإن بعض أهل هذا الزمان يعبدون الأولياء والصالحين، وينذرون لهم النذور، ويذبحون لهم القرابين، ويهدون لهم الهدايا، ويزعمون أنهم بذلك علىٰ هدىٰ وعلىٰ طريق مستقيم، وإذا أنذرهم منذر أو نهاهم مذكر؛ قالوا: هؤلاء لهم جاه ومنزلة عند الله، ونحن لا نعبدهم، ولكن إذا دعوناهم، وتقربنا إليهم بالنذور، صاروا لنا وسائط وشفعاء عند الله؛ لما لهم من الجاه والمنزلة عندهم، ونسوا أن هذا من أعمال أهل الجاهلية التي حذرنا الإسلام منها، فإن أهل الجاهلية كانوا يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلىٰ الله زلفىٰ، كما قال ﷻ في محكم كتابه عنهم في أوائل سورة الزمر: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ويقول ﷻ في سورة يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فهذه أعظم مسألة خالف رسول الله ﷺ فيها أهل الجاهلية، وأتىٰ بإخلاص العبادة لله وحده، وأخبر أنه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه،

ومن أجله أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، وشرع الجهاد في سبيل الله، كما قال ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

*** مسألة: التفرق:**

ومن المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية: التفرق والنفرة من بعضهم لبعض، فلا يجتمعون على أمر من الأمور، بل كلٌّ يرى أن اتفاقه على رأي مع غيره مما فيه مصلحة؛ يراه ذلة وهوانًا ونقصًا فيه، وعيبًا يعاب به بين أمثاله؛ ولذلك جرّت هذه الأمور عليهم شرورًا كثيرة، وحصل بسبب ذلك إراقة الدماء، واضطراب الأمن والاستقرار، وتسلط بعضهم على بعض لأتفه سبب؛ ولذلك أمرهم الرسول ﷺ بالاتفاق والاعتصام بدين الإسلام، وعدم التفرق، كما أمره الله بذلك، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[آل عمران ١٠٢-١٠٣]، فالله سبحانه يذكر المسلمين بنعمة الإسلام التي جمعت كلمتهم، وجعلتهم أحبابًا متآلفين محبة قلبية، ليست مجرد قولة باللسان، بل التآلف حصل للقلوب والأرواح، وهذه هي المحبة الصادقة التي هي ثمرة الأخوة الصحيحة، الأخوة في الله، والمحبة فيه سبحانه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ وكنتم على خطر أن تهووا في الهاوية، فأنقذكم سبحانه بالإيمان، ومتابعة نبيه ﷺ من هذه الهلكة. فتذكروا هذه النعم، فإنه لا يعدلها أي نعمة.

قال الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقال: أراد سبحانه بما ذكر ما كان بين الأوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة، إلىٰ أن ألف سبحانه بينهم بالإسلام، فزالت الأحقاد. قاله ابن إسحاق. وكان يوم بعاث آخر الحروب التي جرت بينهم، وقد فصل ذلك في (الكامل).

ومن الناس من يقول: أراد ما كان بين مشركي العرب من التنازع الطويل والقتال العريض، ومنه حرب البسوس، كما نقل عن الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ [التغابن: ١٦] إلىٰ غير ذلك من الآيات الكريمة الناصة عن النهي عن الاستبداد والتفرق، وعدم الانقياد والطاعة، مما كان عليه أهل الجاهلية» اهـ.

وكل هذه الأمور أزالها الله بعد الإسلام، فذكرهم هذه النعمة، وأمرهم سبحانه بالتقوىٰ ولزوم الجماعة، وحذرهم من النزاع والتفرق الموجبان لسفك الدماء، ونهىٰ عن الاستبداد والتفرق وعدم الانقياد والطاعة، كما كانوا عليه في جاهليتهم.

* مسألة: مخالفة ولي الأمر:

من المسائل أيضًا التي أمر رسول الله ﷺ بمخالفة أهل الجاهلية فيها؛ السمع والطاعة لأولي الأمر، فإن أهل الجاهلية كانوا يرون أن عدم السمع والطاعة من الفضائل، وربما اتخذه بعضهم دينًا؛ فلهذا حذر ﷺ من هذه الخصلة، وأخبر أنها من أعمال الجاهلية؛ لما يترتب عليها من الأمور العظام من التفرق، وسفك الدماء، والعداوة، والبغضاء، وكل هذه الأمور جاء الإسلام بإزالتها من المجتمعات، وأمر بجمع الكلمة والوئام والتحابب، وأمر ﷺ بالصبر علىٰ جور الولاة، والسمع والطاعة لهم، وغلظ في ذلك، وأعاد وقال ﷺ: «**اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ**

مالك» رواه مسلم، وقال: «**اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة**» رواه البخاري، وجاء عنه ﷺ قوله: «**إن الله يرضىٰ لكم ثلاثًا: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**» رواه مسلم، وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية**»، وروي عن جنادة بن أبي أمية قال: «دخلنا علىٰ عبادة بن الصامت وهو مريض، قلنا: أصلحك الله، حدّث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ، قال: **دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا علىٰ السمع والطاعة** في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، **إلا أن تروا كفرا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**» رواه مسلم. وقد كثرت الأحاديث الثابتة الصحيحة في هذا المعنىٰ.

وعند تتبع التاريخ ترىٰ العجائب في هذا الباب، وأنه ما حصل سفك الدماء، وتفرق المسلمين، وطمع الكفار بهم، ولم يقع خلل في الدين والدنيا إلا من الإخلال بالعمل بهذه الأحاديث وهذه الوصايا التي وصانا بها رسول الهدىٰ ﷺ من جمع الكلمة والاتفاق وعدم التفرق والاختلاف، ولا شك أن هذا هو الذي يقتضيه الشرع والعقل، وقد دل الاستقراء علىٰ ما تحته من المصالح العظيمة، وما ينتج من مخالفته من المفاسد الكثيرة. والله تعالى يأمر عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولىٰ الأمر، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]. وكان ﷺ في مبايعاته لأصحابه يأمرهم بالسمع والطاعة، وهل يمكن أن ينتظم أمر لأحد بدون السمع والطاعة !! ولذلك جاء في الحديث «**من أتاكم وأمركم جميع علىٰ رجل واحد يريد**

أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه» رواه مسلم، مع أن القتل من أعظم الذنوب وأشدها، وفي الحديث: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مؤمن بغير حق» رواه الترمذي والنسائي، ولكن لما كان يترتب علىٰ تركه ومشاقته ما يترتب من سفك الدماء، وضعف المسلمين؛ أمر الرسول ﷺ بقتله، وقتل رجل واحد أخف ضررًا، وأقل شرًّا من قتل الألوف من المسلمين، والقاعدة الشرعية أن يرتكب أدنىٰ الضررين لدفع أعلاهما.

*** مسألة: التقليد:**

ومن المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية؛ التقليد، فالرسول ﷺ نهىٰ عن التقليد، ومتابعة الغير بدون دليل يستند عليه عن الله ورسوله ﷺ، وهذا في الحقيقة هو دين الجاهلية، وهو أصلهم العظيم الذي يدورون عليه، وليس هذا خاصًا بقريش، ولا بأهل الجاهلية في زمنه -عليه الصلاة والسلام-، وإنما هو دين جميع الأمم التي بعث فيها الرسل، فهذه عندهم قاعدة عظيمة يردون بها الحق، ويدفعون بها دين أنبياء الله ورسله، كما قال ﷻ في وصف حالهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وقال ﷻ في الآية الأخرىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠] إلىٰ غير ذلك مما يدل علىٰ أن أهل الجاهلية كانوا في ربقة التقليد، التقليد الأعمىٰ الذي لا يستند علىٰ أي دليل، فهم لا يعملون لهم فكرًا، ولا يشغلون لهم عقلًا بالتذكر والتفكر في الأمور، فلهذا تاهوا في أودية الجهالة، وضلوا في صحاري الغواية، فهم في ريبهم يترددون، وفي حيرتهم يعمهون، ليس لهم حكم وتدبير، ولا عقل

منير، والقرآن يناديهم ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

والله ﷻ يدلهم على الطريقة المثلى والمسلك القويم والصراط المستقيم، ويقول لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، ولكن إذا غلبت الشقاوة فلا يؤثر فيهم لوم ولا عتاب ولا بيان، وكم صد التقليد أشخاصًا عن الهدى، وجلب لهم الشقا، وفوت عليهم السعادة. فانظر إلى مضرة التقليد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* مسألة: الاقتداء بالعالم الفاسق أو العابد الجاهل:

من مسائل أهل الجاهلية أنهم يقتدون بأناس ليسوا على طريقة مستقيمة، إما لجهلهم بدينهم، أو عدم استقامتهم على أمر الله، فكانوا في الجاهلية سواء جاهلية المشركين من العرب، أو غيرهم من أهل الكتاب يفعلون ذلك، والقرآن الكريم نزل بالتحذير من الاقتداء بهؤلاء، وأمر بالبعد عنهم، فكل من لم يكن على جانب من العلم والزهد والعبادة وتقديم ما جاء عن الله وعن أنبيائه على كل شيء، فهذا لا يقتدى به، ولا يتابع على ما هو عليه، فإن بعض العلماء يدعون الناس إلى الله بألسنتهم، ويخالفون ذلك بأفعالهم، وإذا عرض لهم عارض من فضول الدنيا قدموه، وأقاموا لأنفسهم الأعذار والمسوغات، وإن لم تكن على جادة الصواب، ولا على سنن الهدى؛ ولذلك حذر القرآن الكريم ممن هذه أوصافهم وهذه طريقتهم، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] فهذا فيه التحذير من متابعة هؤلاء العلماء الفساق،

الذين علموا العلم، ولكن لم يعملوا بعلمهم، ولم يكتفوا بعدم العمل، بل أضلوا الناس، وصدوهم عن سبيل الهدىٰ.

وكذلك الجهال الذين يتلبسون بالعبادة، ويظهرون للناس النسك، وهم بخلاف ذلك، بل هم من الضلال الذين يضلون الناس بعبادتهم التي لم تبنىٰ علىٰ وحي من الله ورسوله، بل هم يتخبطون في عبادتهم، ويتابعهم كثير من الناس، ينخدعون بهم، وبزيهم، وإظهارهم النسك، فهؤلاء يضلون الناس؛ ولهذا قال بعض السلف -رحمهم الله-: من فسد من علمائنا ففيه شبه من الأحبار، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبه من الرهبان؛ ولأن من سلك طريقهم، وسار علىٰ نهجهم، فله نصيب من صفاتهم، بحسب ما اتصف به، فكل ما جاء في القرآن من ذم اليهود والنصارىٰ وغيرهم ممن خالف أمر الله إذا اتصف به أحد ممن ينتمي للإسلام؛ فله نصيب من ذلك؛ ولأن الله عز وجل ذكر ما ذكر من الصفات والأفعال التي عابها علىٰ المشركين من العرب وغيرهم من أهل الكتاب، تحذيرًا لنا أن نسلكها أو نفعل كفعلهم، فإذا فعلنا مثلهم أصابنا ما أصابهم؛ ولذلك لما قال الله عز وجل في قصة شعيب عليه السلام عند ختمها بالآيات في سورة هود ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]، فكل من خرج عن التعاليم الإلهية، إما عن عمد ومعاندة، أو عن جهل وإعراض عن الحق، فله قدر مشترك من العذاب علىٰ حسب فعله، كما فعل بالأمم السابقة.

والحاصل أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم خالف أهل الجاهلية في متابعتهم للفساق ممن يدَّعون العلم وهداية الناس، وهم بعكس ذلك، يصدون عن سبيل الله، كما قال سبحانه ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ

ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧].

* مسألة: الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل:

إن من أعمال أهل الجاهلية التي خالفهم فيها رسول الله ﷺ ما كانوا عليه من عدم قبول الحق، والاحتجاج بما كان عليه أسلافهم والقرون المتقدمة لهم، بدون دليل صحيح، وبدون رؤية وتفكير وعقل سليم، فمجرد عمل القرون السابقة هو دليلهم على السير على مناهجهم، ولو كان في الكفر والشرك والظلم ومخالفة الأنبياء والمرسلين؛ ولذلك جاء القرآن الكريم بإبطال هذه الأمور في سورة طه، عندما ذكر سبحانه قصة إرساله موسىٰ وهارون إلىٰ فرعون، فقال رادًّا عليهم، ومحتجًّا بما عليه أسلافه من أهل القرون الأولىٰ، قال سبحانه في محاورتهما -أي: محاورة موسىٰ وهارون لفرعون - قال: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه: ٤٩-٥٤] وقال في سورة ص: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ [ص: ٦-٧]، شجع بعضهم بعضًا علىٰ الاستمرار بما هم عليه من الباطل، وعدم الالتفات إلىٰ من خالفهم، وعدم قبول الحق ممن جاءهم به، وأمر بعضهم بعضًا بالصبر علىٰ ذلك، والتمسك بعبادة آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، وأن هذا مقصود به صدكم عن آلهتكم والتخلي منهم، ثم استدلوا علىٰ ذلك، وأكدوا هذا الاستمرار بأن

هذه هي الطريقة المستقيمة والمحجة الواضحة بزعمهم هي الصواب، وهي الحق، وأن ما عداها بعيد عن الصدق؛ ولهذا قالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ فسموا الحق اختلاقًا، أي كذبًا، وما هم عليه من الباطل هو الحق الذي يجب التمسك به، والتمشي بموجبه، والصبر علىٰ إنفاذه والاستمرار عليه. وهذه طريقة أهل الجاهلية جميعًا من زمن نوح عليه السلام إلىٰ زمن المشركين الذين بُعث فيهم خاتم النبيين محمد ﷺ، فتقدمت الآيات التي تشير إلىٰ فعل كفار قريش، وكذلك في قصة موسىٰ وهارون عليهما السلام مع فرعون، وأما في قصة نوح عليه السلام ففي قوله سبحانه في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٢٣-٢٥]، فهذه حجة الأولين والآخرين منهم، ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾، فجعلوا مدار احتجاجهم علىٰ عدم قبول ما جاءت به الرسل، أنه لم يكن عليه آباؤهم وأسلافهم، ولا عرفوه منهم، فكيف يتبعون رجلًا يخالف آبائهم وأسلافهم الأولين؛ ولهذا لما عاتب كعب أخاه بجيرًا علىٰ إسلامه واتباع محمد ﷺ قال في تأنيبه لبجير:

علىٰ خلق لم تلف أمًّا ولا أبًا … عليه ولا تلقىٰ عليه أخاك

فلما سمع رسول الله ﷺ هذا البيت من جملة الأبيات قال ﷺ: «أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه».

وفي قصة أبي طالب أوضح دلالة وأعظم دليل علىٰ خطر هذه الكلمة، وذلك أن الرسول ﷺ حرص أشد الحرص علىٰ إسلام عمه أبي طالب،

ولما حضرته الوفاة جلس عنده، ودعاه للإسلام، وعرض عليه الإقرار بالتوحيد، والاعتراف بكلمة الإخلاص، لا إله إلا الله، التي من كانت هذه الكلمة آخر كلامه دخل الجنة، فقال: **يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**، وكان عنده بعض كبراء قريش، فلما أحسوا منه الإصغاء إلىٰ قول الرسول ﷺ، والميل إليه، وأراد أن يقول: لا إله إلا الله، قالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب ! فلما قالوا له ذلك أبىٰ أن يقول لا إله إلّا الله، ومات وهو علىٰ ملة عبد المطلب، مات علىٰ قول أهل الجاهلية، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

اللهم اهدنا صراطك المستقيم، وجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين.

* مسألة: الاحتجاج علىٰ الحق بقلة أهله:

إن من أعمال الجاهلية التي خالفها رسول الله ﷺ أنهم يحتجون علىٰ صحة باطلهم، وردهم الحق بقلة أهله، ويستدلون علىٰ باطلهم بكثرة أهله، والاحتجاج بالسواد الأعظم، وإن كان علىٰ غير هدىٰ، وهذه حجة زائفة لا تروي غليلًا، ولا تشفي عليلًا، كيف وقد أبطلها القرآن الكريم، وبين الحال بعكس ما ذهبوا إليه، فإن أهل الباطل غالبًا هم الأكثر عددًا، وهم السواد الأعظم، فإن أغلبية الخلق ضعفت بصائرهم، وغلب عليهم حب الشهوات، وثقلت عليهم التكاليف الشرعية، وضعفت عزائمهم عن مقاومة نفوسهم وميلها إلىٰ الباطل، وسيطرت عليهم أهواؤهم، فقادتهم إلىٰ الطرق المعوجة المائلة عن سبيل الإيمان، وعن الأخلاق العالية الشريفة:

إذا أنت لم تعص الهوىٰ قادك الهوىٰ ... إلىٰ كل ما فيه عليك مقال

والله ﷻ قد أبان لنا في محكم كتابه أن الأكثرين من الناس قد انحرفوا عن طريق الصواب، كما قال ﷻ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

فالكثرة إذا كانت علىٰ خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان له بصيرة وقلب يعقل، فالحق أحق بالاتباع، قل ناصروه أو كثروا، والله مؤيده وناصره ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ومن ثم قيل: للباطل جولة ثم يضمحل، فالباطل مآله للزوال وإن كثر أعوانه وأنصاره، والحق مآله للثبات وإن قل أنصاره وأعوانه؛ لأن الله مع الحق، ومن كان الله معه فهو المنصور الغالب ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

فالكثرة علىٰ خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه؛ لأن الله سبحانه أخبر أن البغي بين الخلطاء والشركاء كثير، وأنه لا يسلم من ذلك إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم قليلون بالنسبة إلىٰ غيرهم، كما قال سبحانه: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، فأخبر الله تعالىٰ عن أهل الحق أنهم قليلون، غير أن القلة لا تضرهم، فكل من كان علىٰ جانب كبير من العلم والعمل، أو من الشجاعة والكرم، أو من مكارم الأخلاق والشيم، أو الصبر والحلم، فإنهم بالنسبة إلىٰ من ليس كذلك قليل، فالأكثر في الناس النقص، وعدم الاستقامة، وعدم الوفاء.

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل

فالاعتماد علىٰ السواد الأكثر والاحتجاج بما عليه الكثرة الكاثرة من

غير برهان ولا دليل؛ نقص في التصور، وخلاف المعقول والمنقول والواقع، والتوفيق بيد الله ﷻ.

*** مسألة: الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريبًا:**

إن من أعمال الجاهلية التي أنكرها النبي ﷺ وخالفهم فيها استدلالهم بردّهم الشيء، ودعواهم ببطلانه، بكونه غريبًا، أي جديدًا عليهم لم يعرفوه من قبل وقد بين النبي ﷺ أن الإسلام بدأ غريبًا، فقال ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبىٰ للغرباء**» رواه مسلم. فهو غريب بالنسبة لعمل الجاهلية، ثم أثنىٰ النبي ﷺ علىٰ أهله الغرباء المتمسكين به، وفضلهم علىٰ غيرهم بقوله ﷺ: «**فطوبىٰ للغرباء**»، وهؤلاء الغرباء أخبر عنهم ﷺ «**أنهم يصلحون إذا فسد الناس**» أو «**أنهم يصلحون ما أفسد الناس**» رواه أحمد والترمذي وحسنه. فالغرابة في حد ذاتها ليست عيبًا، بل قد تكون شرفًا، كما في هذا الحديث. وقد روي من عدة طرق، فقد روي عن عبد الرحمن بن سنة رضي الله عنهما بلفظ: «**إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز إلىٰ ما بين المسجدين، كما تأرز الحية إلىٰ جحرها**» رواه أحمد. وروي مرسلًا عن شريح بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، ألا لا غربة علىٰ المؤمن، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه، إلا بكت عليه السماء والأرض**، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]، ثم قال: «**إنهما لا يبكيان علىٰ كافر**».

هذا وقد تكون الغرابة لقلة المشاكلة والمجانسة، سواء في الخير أو في غيره، فإن كان في الخير فهو في غاية المدح والثناء؛ لكونه انفرد بهذه الخصلة الحميدة، أو بهذا الوصف الفضيل، ويروي أن الإمام أحمد رحمه الله

أنشد هذا البيت:

إذا مضىٰ القرن الذي أنت فيهم وخلفت في قرن فأنت غريب

ويشبه هذا قول الطغرائي:

هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا من قبله فتمنىٰ فسحة الأجل

فكل من ذهب نظراؤه، ودرج جيله الذي عاش بينهم، يكون غريبًا عند غيرهم، لكن هذه الغربة لا تعطي وصف ذم، بل قد يكون خيرًا ممن هو غريب بينهم.

فالحاصل أن وصف الغربة ليس بنقص ولا عيب، بل اعرف الحق لتعرف أهله. وقد جرت في الأمثال «في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا» وذلك يعني ندرة هذا الشيء، وقد قال الله سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦]، فقوله: ﴿فَلَوْلَا﴾ تفيد معنىٰ التوجع، أي فهلا ﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾، أي: الأقوام المتقدمة المقتربة في زمان واحد ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾، أي: ذوو خصلة باقية من الرأي والعقل، أو ذوو فضل من بقيتهم من خيارهم، ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الواقع فيما بينهم، وفسر الفساد بالكفر، وما اقترن به من المعاصي ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا﴾ أي: ولكن قليلًا ممن أنجيناهم؛ لكونهم كانوا ينهون عن الفساد، وهو قريب من قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٦٥]، فمدلول هذه الآيات بيان قلة القائمين بالحق، وغرابتهم بين قومهم، فصاروا مع

غربتهم هم أهل الحق؛ لأنهم كانوا متمسكين به، والرسول ﷺ يقول: «**فطوبىٰ للغرباء الذي يصلحون عند فساد الناس**».

* مسألة: انخداع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم:

كان أهل الجاهلية يعتقدون أن من كان له قوة في جسمه، وإدراك قوي في عقله، وسعة تفكير في فهمه، وجاه عريض، ومال كثير، أن ذلك يمنعهم من الضلال، وكيف يضلون عن طريق الحق وهم علىٰ هذه الأحوال !! فرد الله ﷻ عليهم هذا الزعم، وبين لهم أن هذا من الضلال البعيد، كما حذر من ذلك رسول الله ﷺ، وقد بين الله تعالىٰ ذلك في عدة آيات من كتابه، كما قال سبحانه: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]، وقال سبحانه في أهل القوة من قوم عاد، وما أعطاهم من السمع والبصر والفؤاد، الذي به عادة يتمكن صاحبه من التفرقة بين ما ينفعه وما يضره، قال ﷻ عنهم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[الأحقاف: ٢٤-٢٦]، فهو ﷻ يقول: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ قوينا عادًا وأقدرناهم في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة في الرزق وطول الأعمار وسائر أنواع التصرفات، فهم أقوىٰ منكم وأشد بطشًا، ومع ذلك فقد جعلنا لهم أسماعًا وأبصارًا وأفئدة؛ ليستعملوها فيما خلقت له، ويعرفوا لكل منها ما أنيط به معرفته من أصناف النعم، ويستدلوا بها علىٰ نعم الله ﷻ، الذي مَنَّ بها عليهم، فيدعو بشكره جل ثناؤه، فما أغنىٰ عنهم



سمعهم، حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الأنبياء ونصائحهم، ولا أبصارهم، حيث لم يجتلوا بها الآيات الكونية المرسومة في صحائف هذا العالم الفسيح، ولا أفئدتهم، حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالىٰ، والاعتراف له بالتوحيد، والإخلاص في العبادة ﴿من شيء﴾ أي: ما أغنت عنهم شيئًا من الأشياء؛ إذ كانوا يجحدون بآيات الله، ﴿وحاق بهم﴾ أي: أحاط بهم وعمهم ما كانوا يستهزؤون به من العذاب الذي كانوا قبل معاينته يستعجلونه بطريق الاستهزاء، ويقولون: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]، فأتاهم العذاب، فأهلكهم عن آخرهم، فهل نفعهم قوتهم وحيلهم وغلظ أجسامهم؟ فالتوفيق بيد الله تعالىٰ، فحصول الإيمان بالله ورسله والإذعان للحق وسلوك سبيله إنما هو فضل من الله تعالىٰ، لا لكثرة مال، ولا لحسن حال، ومن يرد الحق ويستدل بكونه أحسن الناس حالًا، فقد سلك سبيل الجاهلية، وحاد عن المحجة المرضية.

قال **الألوسي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومثله قوله سبحانه: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] كان اليهود يعلمون من كتبهم رسالة محمد ﷺ، وأن الله سيرسل نبيًّا كريمًا من العرب، وكانوا قبل بعثته يستفتحون علىٰ المشركين ببعثته، ويقولون: يا ربنا أرسل النبي الموعود إرساله حتىٰ ننتصر علىٰ الأعداء، فلما جاءهم ما عرفوا، وهو محمد ﷺ كفروا به، حسدًا منهم أن تكون النبوة في العرب، وهم بزعمهم أحسن أثاثا ورئيا» اهـ.

* مسألة: انخداع أهل الثروة بثروتهم:

أن من أعمال أهل الجاهلية أنهم يستدلون بعطاء الدنيا علىٰ رضىٰ الله علىٰ عبده ومحبته له، ولم يعلموا أن الله يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، وسعة الرزق وكثرة الأولاد والوجاهة في الدنيا لا تدل علىٰ محبة الله، فقد يعطي سبحانه هذه الأشياء لعباده المؤمنين، وقد يعطيها للكفار، وهذا شيء معلوم ومشاهد، ولكن أهل الجاهلية لنقص علومهم وفساد تصوراتهم يرون أن ذلك دليل علىٰ محبة الله لهم، ورضاه عنهم، يقول ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٤-٣٥] فأكذبهم ﷻ بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٦-٣٧]. وقال ﷻ حكاية عن قارون حينما أعطاه الله ما أعطاه من المال الكثير والكنوز العظيمة من الذهب والفضة، قال لقومه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ أي: لمعرفتي، وحذقي، وحسن تصرفاتي، فأضاف النعم إلىٰ حوله وقوته وامتيازه علىٰ الناس، وهذا التصور الفاسد جعله يتكبر ويتجبر علىٰ عباد الله.

يقول سبحانه في قصته: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ

﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ
أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ
ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ
وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ
﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾

[القصص: ٧٦-٨٢].

فبهذا تبين لك أن محبة الله ورضاه إنما تكون بطاعته والانقياد لأمره سبحانه، وأمر رسوله ﷺ، وأما كثرة المال والأولاد ونحو ذلك من نعيم الدنيا فليست دليلًا علىٰ نجاة صاحبها؛ لأن المنعَم عليه حقيقة هو الذي هدي إلىٰ الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء. ولو كانت الدنيا وما فيها تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقىٰ منها كافرًا شربة ماء، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾[الزخرف: ٣٣] فلو قيل: إن كثرة الرزق يخشىٰ منها الاستدراج بصاحبها، سيما إذا لم يقم بشكرها، لكان أقرب من القول بأنها دليل الرضا، كما يزعم أهل الجاهلية، وقد ورد في الأثر: «من زيد في عقله نقص من رزقه»، فكم نرىٰ أناسًا كثرت أموالهم وأولادهم وهم في غاية من الجهل، وآخرين علىٰ جانب كبير من العلم والأدب رزقهم قوتًا، أو أقل منه؛ ولهذا يروىٰ عن بعض أهل الأدب الأبيات المشهورة:

كم من قوي قوي في تقلبه ... مهذب الرأي عنه الرزق منحرف
وكم غبي غبي في تصرفه ... كأنه من خليج البحر يغترف

فسبحانه الحكيم العليم، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، لا إله إلا هو العليم الحكيم.

*** مسألة: الاستخفاف بالحق لضعف أهله:**

كان أهل الجاهلية يستخفون بالحق، ويأنفون من قبوله، من أجل أن الذي عليه غالبًا هم ضعفاء الناس وفقرائهم، ومع ذلك يستدلون علىٰ بطلان الحق بهذا السبب، الذي هو اتباع ضعفاء الناس له، وبزعمهم أنه لو كان حقًا لأخذ به الأقوياء والأغنياء والكبراء من الناس.

كما قال كفار قريش لنبينا محمد ﷺ، فقد روىٰ الإمام أحمد وابن جرير رحمهما الله عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «مر الملأ من قريش علىٰ رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نصير تبعًا لهؤلاء؟ اطردهم، فلعلك إن طردتهم نتبعك، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]»، فانظر إلىٰ مشركي العرب واحتقارهم للمؤمنين، وطلبهم من الرسول ﷺ طردهم.

وانظر قصة هرقل لما كان له من العقل كيف قال لأبي سفيان لما سأله عن الرسول ﷺ حتىٰ قال: «وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل» فأتباع الرسل هم الضعفاء، والهداية بيد الله ﷻ. اللهم اهدنا صراطك المستقيم، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

*** مسألة: وصم أنصار الحق بما ليس فيهم:**

إن أهل الجاهلية علىٰ ما هم فيه من التكبر وعدم قبول الحق يلصقون عيوبًا كثيرة في أهل الحق تنفيرًا عنهم، ولو أنهم في باطن نفوسهم يعلمون كذب أنفسهم، ولكن فعلوا ذلك لئلا يحتج عليهم بهؤلاء المؤمنون، وخوفًا من أن يتبعهم الناس، فيكثر أتباعهم، ويبقوا وحدهم في انعزال، فهم يقولون: هؤلاء، يقصدون أتباع الأنبياء، ليس لهم قصد في الله وفي الآخرة، ولكن يريدون الدنيا، وليتحصلوا علىٰ غرضهم منها، كما قال قوم نوح عليه السلام له؛ ولذلك قال نوح عليه السلام عن الذين أسلموا من قومه: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١٣]، فإن كان قصدهم الدنيا، أو لهم غرض آخر فلا يلزمني التنقيب عنهم، والبحث والفحص عما في قلوبهم، إنما أقبل تصديقهم، وأكِلُ سرائرهم إلىٰ الله عالم الغيب والشهادة.

*** مسألة: التكبر عن نصرة الحق لأن أنصاره ضعفاء:**

كان من خصال أهل الجاهلية أنهم يتركون قبول الحق، ويُعرضون عنه تكبرًا؛ لكون الفقراء وضعفة الناس قبلوه، ولذلك قالوا لنوح عليه السلام: اطرد عنك هؤلاء الأرذلون، فقال: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: ١١٤]، وقالوا لمحمد ﷺ: اطرد هؤلاء الأعبد، فقال الله له: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢] ، وكم حصل مثل ذلك، وما يشاكله من بعض المتكبرين، الذين يتركون طلب العلم كراهية لمجالسة الفقراء والضعفاء من طلاب العلم، وحرموا أنفسهم الخير الكثير، وفاتهم العلم بهذا السبب، فهم إذا جاؤوا إلىٰ حلقات الذكر ومجالس العلماء، ورأوا الفقراء وغيرهم جنبًا إلىٰ جنب، لا فرق في حال الدرس والجلوس أمام العلماء بين الغني والفقير؛ استنكف كثير منهم أن

يجالس هؤلاء، وترك طلب العلم لهذا الغرض السيئ في نفسه، وهو الترفع والتكبر عن هؤلاء، ولكن كيف تكون العاقبة بعد ذلك، تكون كما هو مشاهد، يبقىٰ في جهله وضلاله، وإذا احتاج إلىٰ معرفة مسألة من مسائل العلم، أو وقع له مشكلة بينه وبين أحد من الناس، أو بينه وبين أهله، ذهب يلتمس من أولئك الذين كان يحتقرهم، ويأبىٰ أن يجالسهم معرفة حكم ما وقع فيه، وجلس بين أيديهم مجلس المتعلم المسترشد المعترف بجهله، وربما تردد علىٰ باب أحدهم الأيام؛ لينال مقصده، ويعرف حكم مسألته.

وكان العلماء -رحمهم الله- لا يفرقون بين أحد من الناس في العلم، فيجعلون مجلسهم مجلسًا واحدًا للعموم، سواء الفقراء والأغنياء والملوك، كما عرف عن الإمام مالك والبخاري وغيرهم من أئمة المسلمين.

* مسألة: الغلو في الصالحين:

إن من أعمال أهل الجاهلية الغلو في الصالحين، سواء جاهلية أهل الكتاب الذين يزعمون أنهم العلماء، ويدعون معرفة كل شيء، أو كانوا من جاهلية العرب الذين كانوا يقلدون أهل الكتاب، ويقتبسون منهم بعض عباداتهم.

وهذا الغلو في الصالحين قد يكون سببه طلب التقرب إلىٰ الله، والله ﷻ أخبر عن غلو أهل الكتاب في محكم كتابه فقال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ

ﭐللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١]، فقولهم: عزير ابن الله - تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا - من غلوهم في العزير، والله ﷻ نفىٰ ذلك عن نفسه بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

وكذلك مقالة النصارىٰ مثل ذلك ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨] قاتلهم الله، ثم أخبر عنهم ﷻ بأنهم أيضًا اتخذوا علماءهم وعبادهم أربابًا من دون الله، يحللون لهم الحرام فيحلونه، ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه، ويزعمون أنهم يتصرفون في الكون، وفي جلب النفع، ودفع الضرر؛ ولذلك يدعونهم في الملحات، ويلجأون إليهم عند طلب الحاجات.

وقد سرت هذه العدوىٰ من اليهود والنصارىٰ إلىٰ العرب في جاهليتها، ومع الأسف الشديد أنها قد فشت عند بعض المسلمين في هذه الأزمنة أكثر من ذي قبل، فقد عمت البلوىٰ، وانتشر الشرك باسم تعظيم الأنبياء والصالحين، حتىٰ جعلوا لهم التصرف في الأمور، فأخذوا ينذرون لهم النذور، ويذبحون لهم الذبائح، ويطلبون منهم أن يدفعوا عنهم البلاء، وأن يجلبوا لهم النفع، ودعوهم في الشدائد، وعظموا قبورهم وبنوا عليها القباب، وجعلوا يطوفون بها، ويقصدوها كالكعبة المشرفة، ولكل قبر موسم من المواسم باسم عيد ميلاده، فيا خيبة الأمل عندما تراهم يبكون حول هذه القبور، ويستغيثون بأهلها، ويطلبون منها المدد والعون والنصر، كأنهم لم يقرؤوا كتاب الله، ولم يطرق سماعهم قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا

يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]. وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

إن هذا المرض الخطير قد عم في كثير من بلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وهو تصديق لما أخبر به المعصوم عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم، حيث يقول: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم باعا بباع وذراعا بذراع وشبرا بشبر حتىٰ لو دخلوا في جحر ضب لدخلتم معهم،** قالوا يا رسول الله اليهود والنصارىٰ؟ قال: **فمن إذًا**» رواه البخاري، وصدق الله العظيم: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

* مسائل: الطعن في الأنساب، والفخر بالأحساب، والنياحة، والاستسقاء بالأنواء:

إن مما نهانا عنه رسول الله ﷺ من أعمال الجاهلية: الطعن في الأنساب، والفخر بالأحساب، والنياحة، والاستسقاء بالأنواء؛ أي: بالنجوم، وقد حذر ﷺ من الاتصاف بها غاية التحذير، وأكد أنها من أعمال الجاهلية، وأخبر أن هذه الأمة لا تتركها أي أنه يبقىٰ بقايا ولو كانوا مسلمين تدخل عليهم هذه الأمور، ويفعلون فعل الجاهلية، وإذا فعلوا شيئًا من ذلك فإنه نقص في إسلامهم وضعف في إيمانهم. والمعنىٰ أنها توجد في جملة هذه الأمة، وإن كان يوجد أناس سلموا منها، وكلما

ضعف الإيمان، وقل العلم، كثرت، وكلما قوىٰ إيمان العبد، وأنار الله بصيرته بالعلم، سلم منها، فقد كانت توجد في القرون الأولىٰ، لكنها قلة، وهي الآن توجد بكثرة، والحديث لا يدل علىٰ أنها تكون في كل فرد من هذه الأمة، ولكن يفيد أنها لا تفقد منها، فيتصف بها أناس دون آخرين، والحديث الوارد فيها هو ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ حدثه قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستقاء بالنجوم، والنياحة**، أو قال: **النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**».

وقد بين الألوسي رحمه الله وغيره من أهل العلم أن المراد بالفخر في الأحساب: افتخارهم بمفاخر آبائهم، والطعن في الأنساب: إدخالهم العيب في أنساب الناس، تحقيرًا لآبائهم، وتفضيلا لآباء أنفسهم علىٰ آباء غيرهم، والاستسقاء بالنجوم: اعتقادهم نزول المطر بسقوط نجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من المشرق، فيقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، قال تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]، والنائحة تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران: أي: أن الله يجازيها علىٰ هذا العمل بلباس من قطران، «ودرع من جرب»، وذلك أنها في وقت المصيبة تلبس ثيابًا خاصة لأجل المصيبة، وترفع صوتها بالنياحة والكلام المحرم، وإظهار الجزع، والتبرم بهذه المصيبة؛ ولأنها بهذه الأفعال وهذه الأقوال تصهر وتحرق قلوب أهل الميت بما تردده من أوصافه التي كان يتصف بها في حياته. فهذا الحديث دل علىٰ بطلان ما كان عليه أهل الجاهلية من هذه الخصال الرديئة، والأفعال القبيحة.

فالواجب علىٰ كل مسلم الحذر من هذه الخصال؛ امتثالًا لأمر الله -جل وعلا- وأمر رسوله ﷺ، وأن يحذر إخوانه المسلمين من ذلك ويدعوهم برفق وحكمة للتمسك بالسنة، والحذر من البدعة. والله الهادي والموفق.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

❀❀❀

الجن مكلفون

سائل يقول:

هل أرسل الله محمدًا ﷺ إلىٰ الجن كما أرسله للناس؟ وهل هم محاسبون يوم القيامة، والله يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]؟

الجواب:

الجن من مخلوقات الله تعالىٰ، ورد ذكرهم في القرآن والسنة وهم مكلفون، مؤمنهم في الجنة، وكافرهم في النار، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقد أخبر الله -جل وعلا- في كتابه أنه أرسل لهم رسلًا منهم، يقول سبحانه: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقد ذكر الله ﷻ في كتابه قصة الجن الذين استمعوا القرآن، فأنزل سبحانه سورة كاملة سميت باسمهم، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ الآيات، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمدًا ﷺ إلىٰ جميع الإنس والجن، فلم يبق إنس ولا جن إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ﷺ

واتباعه، فعليه أن يصدقه فيم أخبر، ويطيعه فيما أمر، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به، فهو كافر، سواء كان إنسيًا أو جنيًا، وهو ﷺ مبعوث إلىٰ الثقلين باتفاق المسلمين، وقد استمعت الجن القرآن وولوا إلىٰ قومهم منذرين» انتهىٰ. والله أعلم.

إبليس من الجن

سائل يقول:

هل إبليس من الملائكة أم من الجن؟

الجواب:

اختلف العلماء في هذه المسألة:

فذهبت طائفة من العلماء إلىٰ أنه من الملائكة لقوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]. قالوا: كان من الملائكة فلما عصىٰ الله -جل وعلا- خرج عنهم، ولعن، وتوعده الله تعالىٰ بالعذاب الأليم.

والقول الثاني: أنه من الجن؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف: ٥٠] فبين سبحانه أنه من الجن، وعلىٰ هذا يكون الاستثناء في الآية استثناء منقطع. ولعل هذا القول أرجح؛ لأن الملائكة خلقت من نور وإبليس خلق من نار، ولأن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، وإبليس قد عصىٰ وأبىٰ واستكبر، وكان من العاصين. والله أعلم.

خلق الجان

سائل يقول:

مم خلق الجان؟

الجواب:

خلق الله ﷻ الجان من مارج من نار، كما قال ﷻ: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾ [الرحمن: ١٤-١٥]، أي: أنه من طرف النار الخالص.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يذكر تعالىٰ خلقه الإنسان من صلصال كالفخار، وخلقه الجان من مارج من نار، وهو: طرف لهبها. قاله الضحاك، عن ابن عباس. وعنه أيضًا: من لهب النار، من أحسنها. وعنه أيضًا: من خالص النار» انتهىٰ.

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**» رواه مسلم. والله أعلم.

الإنسان مسير أم مخير

سائل يقول:

هل الإنسان مسير أو مخير؟

الجواب:

دلت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة علىٰ أن للعبد اختيار ومشيئة وإرادة وعمل ينسب إليه، وقد بعث الله ﷻ رسله مبشرين

ومنذرين وداعين إلىٰ الله ومرشدين، وقد وهب الله -جل وعلا- العبد عقلًا ليميز بين الحق والباطل، والخير والشر، والنفع والضر، ولذا يكون مكلفًا إذا بلغ وعقل، فمن اختار الحق والخير كان من أهل الفلاح والنجاة، ومن اختار الباطل والشر كان من أهل الزيغ والضلال، وكان لكل منهما من الجزاء بحسب عمله.

ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[آل عمران: ١٥٢].

وقال -جل شأنه-: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وقال: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٨-١٠].

وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ٨-١٠].

وقال سبحانه: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩].

وقد جاءت الشريعة بالأوامر الشرعية؛ ليثاب المطيع على طاعته، ويجازى العاصي على معصيته، واختيار العبد وعمله لا يخرج عن مشيئة الله تعالى وقدره سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، فلا تخرج إرادة العبد عما قدره الله -جل وعلا- وقضى به سبحانه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وفي الحديث: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» رواه أحمد والترمذي وحسنه.

فمن استقام من عباد الله والتزم طاعته فذلك بمشيئة الله تعالى وإرادته سبحانه، كما قال -جل وعلا-: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[التكوير: ٢٨-٢٩]، وقال جل شأنه: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[المدثر: ٥٥-٥٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩-٣٠].

ومن ضل من عباد الله، وعصى أوامر ربه، وأشرك به سبحانه، فذلك بمشيئة الله سبحانه وقدره، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨]، وقال -جل شأنه-: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[يونس: ٩٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩]، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢].

فمن يرد الله هدايته فإنه سبحانه ييسر له عمل المهتدين وسبيلهم، فيكون من أهل الجنة، ومن يرد أن يضله ييسر له عمل الضالين، فيكون من أهل النار، ففي حديث علي بن أبي طالب ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة**، قال: فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث علىٰ كتابنا، وندع العمل؟ فقال: **من كان من أهل السعادة فسيصير إلىٰ عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلىٰ عمل أهل الشقاوة، فقال: اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠]» رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

والله -جل وعلا- يقول: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وفي حديث عمر بن الخطاب ﵁ عندما سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] قال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**، فقال رجل: يا رسول الله

ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: **إن الله ﷻ إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتىٰ يموت علىٰ عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتىٰ يموت علىٰ عمل من أعمال أهل النار، فيدخله به النار»** رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه.

وليعلم العبد أن اختياره لا يخرج عما قدره الله له، فقد قَدَّر الله سبحانه ما يجري من الإنسان قبل أن يخلقه، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه علىٰ الماء**».

وقال ربنا -جل وعلا-: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحديد: ٢٢].

وثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا، فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتىٰ ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتىٰ ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة**».

ولذا كان من أركان الإيمان أن يؤمن العبد بالقدر خيره وشره، وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتىٰ تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرىٰ بما هو كائن إلىٰ الأبد**» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه.

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**كل شيء بقدر حتىٰ العجز والكيس**» رواه مسلم.

فالعبد له اختيار وإرادة، واختياره لا يخرج عن قدر الله تعالىٰ وتسييره له.

وعلىٰ العبد أن يؤمن بأن الله -جل وعلا- بيده ملكوت كل شيء، وأنه سبحانه خالق كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء بقدر، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا مانع لما أعطىٰ ولا معطي لما منع، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن.

وعلىٰ المسلم أن يعمل الأسباب الجالبة للخير، ويجتنب الأسباب الموصلة للشر، وإذا نزلت به نازلة أو مصيبة فليصبر، ولا يتحسر، ولا يقل: لو فعلت كذا لكان كذا، ولو لم أفعل كذا لم يكن كذا، بل ليقل: قدر الله وما شاء فعل، فما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**» رواه مسلم. والله -جل وعلا- يقول: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

ومن رحمة الله بعباده أن العبد إذا زال اختياره بأن كان مجنونًا أو مكرهًا ونحو ذلك، فإنه لا يؤاخذ ولا يلحقه إثم بسبب ذلك.

وهذا هو ما دلت عليه الأدلة الشرعية في هذه المسألة، وهو الذي كان عليه السلف الصالح -رضوان الله عليهم-، وقد ضل في هذا الباب طوائف فقال بعضهم:

إن الإنسان مجبر في جميع أفعاله، ولا إرادة له في ما يفعله، وأفعاله كلها من الله تعالىٰ، سواء كانت خيرًا أو شرًّا، فالعبد لا قدرة له ولا قصد ولا اختيار، وهو قول الجبرية.

وقد احتجوا بالقدر علىٰ إبطال الأمر والنهي، فهم من جنس القائلين ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وفرقة أخرىٰ هي القدرية قالوا: إن الإنسان يخلق أفعاله، ونفوا أن يكون الله تعالىٰ خالقًا لأفعال عباده، فأثبتوا خالقًا مستقلًّا بالخلق والأمر دونه، تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا .

وأهل السنة والجماعة قالوا: إن جميع أفعال العباد من طاعة ومعصية، واقعة بقضاء الله وقدره، وأفعال العباد خيرها وشرها خلقها الله تعالىٰ، كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] و(ما) في الآية بمعنىٰ الذي، غير أن الإنسان ليس مجبورًا علىٰ أفعاله، بل يفعلها باختياره، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. فهذا ما ظهر لنا في هذه المسألة. والله أعلم.

القدر

سائل يقول:

هل للإنسان دخل في القدر أم لا؟

الجواب:

قضاء الله وقدره هو ما كتبه الله وقدره علىٰ هذا الإنسان، وعلمه بما يكون منه من خير أو شر، فهو سبحانه خلق الإنسان وما سيفعله من أفعال وما سيؤول إليه حاله من نعيم، أو عذاب بسبب هذه الأفعال.

والإنسان عليه أن يؤمن بقضاء الله وقدره، فإن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، ويجب علىٰ المسلم أن يتخذ الأسباب التي أمر الشارع باتخاذها فيأتمر بأوامره، ويجتنب نواهيه، ويرجو رحمة الله ويخاف عذابه، وعلىٰ العاقل أن يمنع نفسه من الخوض في غوامض الأمور التي لا يعلم سرها إلَّا الله تعالىٰ؛ ومن ذلك القدر فهو سر الله في خلقه، والتعمق في النظر فيه مزلة الأقدام، ومن جراء الخوض فيه زل كثير من الناس وضلوا.

يقول الإمام الطحاوي في عقيدته: «وأصل القدر سر الله تعالىٰ في خلقه، لم يطلع علىٰ ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله تعالىٰ طوىٰ علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالىٰ في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب، كان من الكافرين» انتهىٰ. نسأل الله العافية.

الشيعة والخوارج

سائل يقول:

هل اتّباع المذهب الشيعي الاثنىٰ عشري يأثم صاحبه؟ وهل بين الشيعة والسنة تقارب؟ وهل الخوارج يعتبرون كفارًا أو مسلمين؟

الجواب:

قد بين العلماء أن المذهب الشيعي الاثنىٰ عشري قائم علىٰ الأمور التالية:

أولًا: الاعتقاد بأن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، وأن عليًّا رضي الله عنه أحق بالخلافة من أبي بكر، وقد أوصىٰ له بها رسول الله ﷺ، وانتقلت من بعده لبنيه، ويعتقدون أن الأئمة معصومون، وأن الإمام الثاني عشر له رجعة، وجعلوا التقية مبدأ أساسيًّا في حياتهم الخاصة والعامة، وهي عندهم كتمان الحق، وإسرار الاعتقاد، ومكاتمة المخالفين، فهم يظهرون خلاف ما يبطنون، ومن عقائدهم ظهور المهدي المنتظر وهو عندهم محمد بن الحسن العسكري آخر أئمتهم.

ثانيًا: الاعتقاد بأن القرآن فيه نقص: فقد اتهم الشيعة الصحابة -رضوان الله عليهم- بأنهم أسقطوا من القرآن آيات تشير إلىٰ إمامة علي رضي الله عنه، وزعموا أنهم أسقطوا سورة الولاية التي فيها فضائل آل البيت، وغير ذلك من المزاعم التي تمتلئ بها كتبهم.

ثالثًا: استعمل الشيعة منهجهم الخاطئ في تفسير القرآن الكريم للطعن في الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ومن ذلك أنهم فسروا ﴿يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وفسروا قوله تعالىٰ: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾[التوبة: ١٢]، فسروا أئمة الكفر بطلحة والزبير، واتهموا الصحابة الكرام بالتآمر علىٰ إبعاد علي رضي الله عنه عن الخلافة، ويتكلمون في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بكلام عظيم وبهتان كبير، وما يزال طوائف من الشيعة في عصرنا الحاضر يرددون هذه الأباطيل والتهم.

يقول الخميني: أولئك الصحابة لم يكن يهمهم إلا الدنيا، والحصول علىٰ الحكم دون الإسلام والقرآن، والذين اتخذوا القرآن مجرد ذريعة لتحقيق نواياهم الفاسدة، وقد سهل عليهم إخراج تلك الآيات من كتاب الله، وكذلك تحريف الكتاب السماوي، وإقصاء القرآن عن أنظار أهل الدنيا علىٰ وجه دائم، أن تهمة التحريف التي يوجهونها إلىٰ اليهود والنصارىٰ ثابتة عليهم. انظر: «كشف الأسرار للخميني ص ١٣٠-١٣١».

وألفت نظر السائل الكريم إلىٰ أن الشيعة المعاصرين بدؤوا ينشرون مذهبهم في الأصقاع التي لا علم لها بعقائدهم الشيعية، مستعملين شتىٰ وسائل الترغيب مستخدمين التقية أسلوبًا للتنصل من كل التهم الموجهة إليهم.

لكن مما ينبغي أن يعلم أن الشيعة ليسوا فرقة واحدة، بل هم طوائف متعددة، ولعل أقربهم للخير هو المذهب الزيدي نسبة إلىٰ زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فالمحققون من العلماء يرون بأن الزيدية أقربهم إلىٰ أهل السنة والجماعة.

أما عن كفر الخوارج، فإن المأثور عن السلف تسميتهم بأهل البدع والضلال وأهل الأهواء وغير ذلك من التسميات ولم يكفروهم.

قال ابن قدامة في المغني في الكلام علىٰ الخوارج: «فظاهر قول

الفقهاء من أصحابنا المتأخرين، أنهم بغاة، حكمهم حكمهم. وهذا قول أبي حنيفة، والشافعي، وجمهور الفقهاء، وكثير من أهل الحديث. ومالك يرىٰ استتابتهم، فإن تابوا، وإلا قتلوا علىٰ إفسادهم، لا علىٰ كفرهم. وذهبت طائفة من أهل الحديث إلىٰ أنهم كفار مرتدون... وأكثر الفقهاء علىٰ أنهم بغاة، ولا يرون تكفيرهم. قال ابن المنذر: لا أعلم أحدًا وافق أهل الحديث علىٰ تكفيرهم وجعلهم كالمرتدين» اهـ.

وقد ذكر ابن عبد البر «عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن أهل النهر، أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا. قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل: فما هم؟ قال: هم قوم أصابتهم فتنة، فعموا فيها وصموا، وبغوا علينا، وقاتلونا فقاتلناهم» اهـ.

وقد كان السلف الصالح يكفرون الشخص منهم إذا أظهر ما يوجب الكفر، ويحكمون عليه بالردة، وذلك بعد إقامة الحجة عليه وإزالة الشبهة عنه. والله أعلم.

نزول عيسى عليه السلام

سائل يقول:

يقول بعض العلماء: إن عيسىٰ عليه السلام سوف يرجع قبل يوم القيامة ونفاه بعض علماء المسلمين؛ لأن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلبن كما ذكر القرآن الكريم في سورة الأحزاب، نرجو أن تبينوا لنا الحكم، وما الكتب التي يمكن الاستفادة منها في هذا الأمر؟

الجواب:

نزول عيسىٰ عليه السلام آخر الزمان حق لا شبهة فيه، وقد وردت به

أحاديث صحيحة متواترة نذكر منها: ما رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتىٰ لا يقبله أحد حتىٰ تكون السجدة خيرًا من الدنيا وما فيها**» ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

وما ذكر من نزول عيسىٰ عليه السلام آخر الزمان لا ينافي كون سيدنا محمد ﷺ هو خاتم النبيين؛ لأن عيسىٰ عليه السلام بعث قبل نبينا محمد ﷺ، ونزوله في آخر الزمان ليس برسالة جديدة، بل يأتي مؤيدًا لدين الإسلام الذي بعث به محمدًا ﷺ، مخلِّصًا للمسلمين من عدوهم الدجال، وقد بين الحديث السابق مهمة عيسىٰ عليه السلام آخر الزمان.

أما الكتب التي تذكر هذا فهي كثيرة: منها أشراط الساعة في كتب السنة كالكتب الستة، وفي كتب العقائد كشرح العقيدة الطحاوية وغيرها، وراجع كتاب النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، وغيره من الكتب التي تناولت أشراط الساعة. والله تعالىٰ أعلم.

محمد ﷺ خاتم الأنبياء

سائل يقول:

هل محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء؟ وما معنىٰ كلمة خاتم بالعربية؟

الجواب:

محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، يقول الله تعالىٰ في محكم


تنزيله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. ومعنىٰ خاتم النبيين أي: آخرهم فلا يبعث نبي بعده. وبالله التوفيق.

التشبه بغير المسلمين

سائل يقول:

أفتوني في شأن بعض المسلمين الذين صاروا في هذه الأيام يتخذون لأنفسهم ألقابًا، أو يغيرون أسماءهم إلىٰ أسماء غير إسلامية بحجة العصرية والحداثة وغيرها من الحجج؟

الجواب:

يقول النبي ﷺ: «**ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود والنصارىٰ**» أخرجه الترمذي. فقد نهىٰ النبي ﷺ عن التشبه بالكفار؛ وذلك لأن التشبه بهم يؤدي إلىٰ موافقتهم في باطلهم ومتابعتهم عليه، وهو ما يسعىٰ إليه الكفار في مختلف الأزمنة والأمكنة.

وقد كان الرسول ﷺ يغير الأسماء القبيحة، ونهىٰ عن التسمي بأسماء معينة، وأرشد إلىٰ أحب الأسماء إلىٰ الله: عبد الله وعبد الرحمن وغير ذلك، وذلك لأن للأسماء تأثيرًا في المسميات.

فالواجب علىٰ المسلم اتباع هدي النبي ﷺ في كل أمر من أموره، ومن ذلك اتخاذ الأسماء والألقاب. والله أعلم.

القضاء والقدر والإرادة

سائل يقول:

ما هو القضاء والقدر والإرادة؟ وهل يرد الدعاء القدر؟

الجواب:

القدر: هو تقدير الله ﷻ الشيء في الأزل.

والقضاء: قضاؤه به عند وقوعه. والإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان.

أما الإرادة فهي تنقسم إلىٰ إرادة كونية وإرادة شرعية.

فما كان بمعنىٰ المشيئة فهو إرادة كونية، وما كان بمعنىٰ المحبة فهو إرادة شرعية.

والإرادة الكونية لابد فيها من وقوع المراد إذا أراد الله شيئًا كونًا، فلابد أن يقع، يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وأما الإرادة الشرعية فقد يقع المراد وقد لا يقع كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[النساء: ٢٧]، فهو يشاء أن يتوب عليكم، ويحب أن يتوب عليكم، ولا يلزم من محبة الله للشيء أن يقع؛ لأن الحكمة الإلهية البالغة قد تقتضي عدم وقوعه.

وأما عن السؤال: هل يرد الدعاء القدر؟

فالنصوص الشرعية دلت علىٰ أن الله ﷻ قد جعل سببًا لرد بعض أنواع القضاء، بمعنىٰ أن الله ﷻ يكون قد قضىٰ وقدر بأن هذا العبد يصاب



بمرض مثلًا، ولكن قضىٰ معه أنه إن دعا الله تعالىٰ أن يحفظه من هذا المرض، فيمحوا الله عنه إصابة المرض ويثبت بأنه لا يصاب بالمرض ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وعلىٰ هذا تحمل جميع الأدعية التي استحب للمسلم أن يدعو بها مثلًا: «اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيء الأسقام» فقد يكون الله تعالىٰ قضىٰ أنه إن دعا بهذا الدعاء فيعافىٰ من هذه الأمراض، وإن لم يدع فيصاب بها أو ببعضها، فصار الدعاء سببًا لرد القضاء، وهو معنىٰ قوله ﷺ: «**لا يرد القضاء إلَّا الدعاء ولا يزيد في العمر إلَّا البر**» رواه الترمذي وحسنه، وكذلك أعمال البر أيضًا تكون سببًا لرد بعض القضاء، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**» أخرجه البخاري. والدعاء وعمل البر أيضًا من قضاء الله وقدره فهو رد القضاء بالقضاء إذا أراد الله ذلك، وهذا كله يكون مخفيًا عن علم العبد. والله أعلم.

الطيرة

سائل يقول:

بعض الناس يتطيرون ببعض الشهور والأيام، فيقولون لا يمكن لأحد أن يتزوج في صفر وشعبان أو يخطب النساء فيها، فما الحكم في ذلك؟

الجواب:

ما ذكر من عدم التزوج أو خطبة النساء في شهر شعبان أو صفر هو نوع من التشاؤم، والتشاؤم من الشهور أو الأيام أو الطيور ونحوها من

الحيوانات لا يجوز؛ لما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا عدوىٰ ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**» والتشاؤم بشهر صفر أو شعبان هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وهو من عمل الجاهلية، وقد أبطله الإسلام، وكذلك الحكم فيمن يتطير ببعض الأيام والأسماء، فهذا كله من الطيرة المنهي عنها، والتي يجب علىٰ المسلم أن يبتعد عنها ويستغفر الله، ويتوب إليه من ذلك. وبالله التوفيق.

تعليق التميمة

سائل يقول:

هل تعليق التميمة حرام؟ وبماذا نرد علىٰ من يقول بأنه جائز؟

الجواب:

التميمة: هي الأشياء التي تعلق علىٰ بعض الأطفال أو علىٰ بعض الناس إما لمرض، وإما بقصد دفع العين، أو أمر من الأمور الأخرىٰ.

وما يكتب فيها: إما أن يكون شركًا أو يكون أسماءً لبعض الكهان أو أسماء شياطين أو فيها حروف مقطعة لا تقرأ، فهذا محرم ولا يجوز باتفاق العلماء.

وإما أن يكتب فيها بعض آيات من القرآن أو شيء من السنة، فهذا أجازه بعض العلماء بشرط المحافظة عليه، فلا تستعمله المرأة أثناء حيضها أو نفاسها، ولا يُدخل به الحمام.

وبعض العلماء لم يجيزوا ذلك، لأنه وسيلة من وسائل الشرك؛ لأن الإنسان يتعلق قلبه بهذه التميمة، بأنها هي التي تدفع عنه الضر أو تجلب له المصلحة. والذي نراه أن تركه هو الأولىٰ. والله أعلم.

تعليق التمائم

سائل يقول:

ما الحكم في كتابة التمائم بطريقة غير شرعية حيث إن إمام مسجدنا يكتب وراء الورقة التي عليها الذكر والدعاء جدولًا يستخدمه من أجل تحقيق الهدف المرجو منه، وما حكم الصلاة وراء هذا الإمام؟

الجواب:

تعليق الحجب والتمائم تنقسم إلىٰ قسمين:

أحدهما: أن يكون المعلق من القرآن الكريم.

الثاني: أن يكون من غير القرآن الكريم مما لا يعرف معناه.

فأما الأول: وهو تعليق آيات القرآن الكريم فقد اختلف في ذلك أهل العلم، فمنهم من أجاز ذلك، ورأىٰ أنه داخل في قوله تعالىٰ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]. ومنهم من منع ذلك، وقال: إن تعليقها لم يثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه سبب شرعي يدفع به السوء، والأصل في هذه الأشياء التوقف، وهذا القول هو الراجح، من أنه لا يجوز تعليق التمائم ولو من القرآن، ولا يجوز أيضًا أن تجعل تحت الوسادة للمريض، أو تعلق في الجدار وما أشبه ذلك، وإنما يدعىٰ للمريض، ويقرأ عليه مباشرة، كما كان النبي ﷺ يفعل.

وأما إذا كان المعلق من غير القرآن الكريم مما لا يفهم معناه كالحالة التي يسأل عنها السائل-وهو القسم الثاني - فإنه لا يجوز بكل حال؛ لأنه لا يدري ما معنىٰ هذا الذي كتبه، فإن بعض الناس يكتبون طلاسم وأشياء

محرمة، فلا تجوز بأي حال، ويجب نصح هذا الإمام كي يدعها، ويجب أن يبين له ذلك.

ومن يكتب هذه التمائم لا تجوز الصلاة خلفه، والله أعلم.

شرب الماء الممحو به القرآن

سائل يقول:

ما حكم شرب الماء الذي يمحىٰ به القرآن الذي يكتب علىٰ اللوح؟

الجواب:

إذا كتب شيء من القرآن أو الذكر في إناء أو لوح ومحي بالماء وغيره وشرب ذلك، فلا بأس به. نص عليه أحمد وغيره، ونقلوا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يكتب كلمات من القرآن والذكر، ويأمر بأن يسقىٰ لمن به داء. والله أعلم.

الحكمة من تحريم السحر

سائل يقول:

ما هي أسباب تحريم الإسلام للسحر والشعوذة؟

الجواب:

يقول الله عز وجل: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ



وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فالآية دليل علىٰ أن تعلم السحر كفر. وبين العلماء أن سبب تحريم الإسلام للسحر هو أن حقيقته الإشراك بالله والكفر كما تقدم ذكره؛ لأنه لا يحصل إلَّا بالاستعانة بالشيطان الذي هو عدو لله ولأوليائه المؤمنين، أو بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانياتها علىٰ زعم الساحر، أو بأكل الحرام وارتكاب الفواحش التي يرضي بها الشيطان، فإذا فعل الساحر هذه الأعمال المنكرة انقاد له الشيطان وخدمه وأطاعه في تنفيذ أوامره من الإخبار ببعض الأمور التي حدثت، أو القيام بالتفريق بين الزوجين، أو إلقاء المحبة بينهما أو عقد رجل عن زوجته، أو إصابته ببعض الأمراض أو غير ذلك، وكل ذلك بقضاء الله وقدره وإرادته الكونية. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ وهذا النوع من السحر كفر بدون شك ولا يرضىٰ الله لعباده الكفر، قال تعالىٰ: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزمر: ٧]؛ ولذلك حكم العلماء عليه بالقتل في هذا النوع من السحر؛لأنه لا يأتي إلَّا بالكفر.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلاف بين أهل العلم. قال أصحابنا: ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته».

كما أن في عمل الساحر إفساد في الأرض، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وفي عمل الساحر إيذاء للمؤمنين وغيرهم، وقال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[الأحزاب: ٥٨].

فالساحر بأعماله يؤذي المؤمنين في أنفسهم وأولادهم فيخبّل ويمرض بواسطة الشيطان الذي عبده وأطاعه. وكذلك بالتفريق بين الزوجين، وهذا من أبغض الأعمال في ديننا، فقد تبرأ النبي ﷺ من فاعله، قال ﷺ: «**من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا**» رواه أبو داود بسند صحيح، ومعنىٰ خبب: خدع وأفسد.

وهذا العمل من أحب الأعمال إلىٰ الشيطان، قال النبي ﷺ: «**إن إبليس يضع عرشه علىٰ الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، قال: يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتىٰ فرقت بينه وبين امرأته قال: فيُدنيه، ويقول: نِعْمَ أنت**» رواه مسلم.

والإسلام لا يرضىٰ أن يؤذىٰ المسلم بالهمز واللمز فكيف يرضىٰ بهذه الأفعال الشنيعة. فالحاصل أن الأعمال التي يقوم بها الساحر هي كبائر الذنوب، ولها آثار سيئة علىٰ المجتمع عامة وعلىٰ المسلمين خاصة، وقد قال النبي ﷺ: «**حد الساحر ضربة بالسيف**» رواه الترمذي. وقد جعل النبي ﷺ السحر من الموبقات قال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**، قالوا: يا رسول الله ما هن؟ قال: **الشرك والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلَّا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**» رواه البخاري ومسلم. وقد يحصل بالسحر جميع هذه الموبقات والله المستعان.



وقال ﷺ: **«من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»** رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

وقال ﷺ: **«ليس منا من تطير أو تُطيِّر له، أو تكهن أو تُكهن له أو سحر أو سُحر له، ومن أتىٰ كاهنًا فصدقه فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ»** رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وقال ﷺ: **«لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بالسحر ولا قاطع رحم»**.

وكذلك النوع الآخر من السحر وهو الشعوذة وهو تخييل وتمويه، فهو أيضًا مبني علىٰ الباطل والكذب والدجل والخداع وأكل أموال الناس بالباطل والتغذي بالحرام، وكل ذلك حرام يستحق فاعله العقاب في الدنيا والآخرة.

لتلك الأسباب وغيرها حرم الإسلام الشعوذة مثل السحر، وقد جاء الإسلام ليتمم مكارم الأخلاق ويمحو مساوئها، لا يرضىٰ بأي عمل يكون فيه مساس بأهم ركن فيه وهو التوحيد، أو يكون فيه فساد علىٰ المسلمين. وبالله التوفيق.

الحرز للأطفال

سائل يقول:

بعض الناس إذا فعل الطفل ما ينبئ عن ذكائه، قالوا حرزًا، يقصدون أن يحفظ من العين، فهل يجوز ذلك؟

الجواب:

إذا كانوا يقصدون بهذا الدعاء له بأن الله يحميه من أعين الناس، ومن الحسد، فلا بأس بذلك، والدعاء مطلوب للأطفال وغير الأطفال.

والحرز معناه أن الله يجعل عليه شيئًا يحميه عن أعين الحاسدين. أما إذا كان قولهم ذلك يقصد به الاستعانة بغير الله تعالىٰ فلا شك أنه محرم. والله أعلم.

مخالفة الوالدين في المعصية

سائل يقول:

إذا طلب مني أحد الوالدين أن أذهب به إلىٰ الكهان والعرافين في بعض الدول بغرض العلاج، فهل الرفض معصية للوالدين؟

الجواب:

لا يجوز طاعة الوالدين في مثل هذا، لأنه حرام، ومعصية؛ لما جاء عن الحسن وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من أتىٰ كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ» رواه أحمد، ولما جاء عن رسول الله ﷺ قال: «من أتىٰ عرافًا فصدقه بما يقول فلا تقبل له صلاة أربعين يومًا» رواه أحمد أيضًا، فلا يجوز طاعة الوالدين في مثل هذا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» رواه أحمد. وينبغي عليه أن ينهاهما عن هذا، ويوضح لهما حرمة هذا الأمر برفق ولين. والله المستعان.

أسباب العقائد الفاسدة

سائل يقول:

كثر في زماننا الطواف بالقبور والتقرب إلىٰ الأولياء والصالحين بدعائهم وسؤالهم حاجاتهم، والتوسل بهم، فما أسباب ذلك؟ وما واجب العلماء والمصلحين في تصحيح هذه العقائد؟

الجواب:

أسباب ذلك كثيرة لعل من أهمها انتشار الجهل، ونسيان العلم، وعدم نشاط أهل العلم في الدعوة إلىٰ التوحيد الخالص، وتقليد الناس لمن سبقوهم.

وهذا التقرب إلىٰ الأولياء والصالحين بزيارة قبورهم والطواف بها، وغير ذلك قد بدأ من عهد نوح عليه السلام، فقد كان هناك رجال صالحون من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم: أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك، ونسخ العلم، عبدت من دون الله، وكانت أسماؤهم: (ودا ويغوث ويعوق وسواع ونسرا) إلىٰ أن جاء رسول الله ﷺ بالبعثة ودعا إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة الأوثان، ثم أزيلت هذه الأوثان، ودخل الناس في دين الله أفواجًا. والحاصل أن الشرك حادثة قديمة ومستمرة في الناس من عهد نوح عليه السلام، وكلما نسي العلم وضعف أهله أصبح بعض الناس يتقربون إلىٰ الأولياء والصالحين بزيارتهم والطواف حول قبورهم، يدعونهم من دون الله، ويسألونهم حاجاتهم، ويتوسلون بهم، والعياذ بالله.

أما واجب العلماء فهو الدعوة إلىٰ توحيد الله تعالىٰ باللين واللطف حتىٰ يستجيب لهم الناس ويقبلون منهم، كما كان يفعل رسول الله ﷺ، ولقد قال الله سبحانه: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فخير الهدي هدي محمد ﷺ، وينبغي أن يبينوا لهم أن هذا شرك، ولا يجوز للمسلم أن يشرك بالله أحدًا لا نبي مرسل ولا ملك ولا ولي ولا غيرهم. ونحن نعلم أن هذه العقائد منتشرة في كثير من الدول الإسلامية، وقد وجد في المملكة قبل مجيء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أناس يشركون بالله ﷻ يعبدون الأوثان في نجد وفي غير نجد، فقد كان عند الرياض قبر لزيد بن الخطاب أخ لعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، حيث قتل في اليمامة، وكان الناس يطوفون بقبره، ويدعونه من دون الله، ويقولون: يا زيد، يا زيد، ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب لهم: الله خير من زيد، اسألوا الله، وكان يدعوهم إلىٰ توحيد الله ﷻ، ونبذ الشرك بالله، وكانت دعوته لهم بالحسنىٰ واللين، فاستجاب لدعوته كثير منهم، ولما صار لهم قوة وشوكة بمناصرة الإمام محمد بن سعود لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هدموا القبر ولله الحمد، وزالت آثار الشرك في سائر البلاد، وها نحن ولله الحمد نعيش في نعمة التوحيد، وهكذا يجب علىٰ علماء المسلمين في كل بلد أن يدعو الناس إلىٰ توحيد الله الخالص، ونبذ الشرك به سبحانه. وبالله التوفيق.

العين

سائل يقول:

هل صحيح أن العين إذا دامت في المعيون طويلًا لا تزول إلا بموت صاحبها؟

الجواب:

لا نعلم في الشرع ما يدل على أن العين إذا دامت في المعين طويلًا لا تزول إلا بموت صاحبها، غير أن الوارد أن على المسلم أن يحصن نفسه بالإيمان بالله، والتوكل عليه، وقراءة ورد من القرآن، والأدعية المأثورة، وإذا علم المعان من أصابه بعينه، فإنه يشرع له أن يطلب من العائن أن يغسل وجهه ويديه وداخلة إزاره في إناء، ثم يغتسل المعان بذلك؛ وذلك لما رواه مالك وأحمد وابن ماجه: أن عامر بن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل، فقال: «والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة. قال: فلَبِط سهل، فأتى رسول الله عامرًا فتغيظ عليه، وقال: علام يقتل أحدكم أخاه، ألا بركت، اغتسل له، فغسل له عامر وجهه ويده ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب عليه، فراح مع الناس» ؛ ولقول عائشة رضي الله عنها: «كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين» رواه أبو داود. والله أعلم.

أسباب العين

سائل يقول:

كيف يكون للعين أثر في إصابة المعيون؟

الجواب:

أسباب إصابة العين غير معروفة، غير أنه حقيقة ملموسة لا ينكرها المسلم. وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين**» رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقد قال نبي الله يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ

﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]، وفي الحديث أيضًا أن عامر بن ربيعة رأىٰ سهل بن حنيف يغتسل، فقال: «والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة. قال: فلَبِط سهل، فأتىٰ رسول الله ﷺ عامرًا فتغيظ عليه، وقال: **علام يقتل أحدكم أخاه، ألا بركت، اغتسل له،** فغسل له عامر وجهه ويده ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب عليه، فراح مع الناس» رواه مالك أحمد وابن ماجه. والله أعلم.

معالجة الحسد

سائل يقول:

كيف يعالج الإنسان نفسه إذا كان يحسد الآخرين؟

الجواب:

إذا عرف الإنسان في نفسه أنه يحسد الآخرين، فعليه أن يتقي الله ﷻ، وليعلم أن هذا حرام، وقد قال النبي ﷺ: «**إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**» رواه أبو داود، وجاء عن أنس ﭬ أن النبي ﷺ قال: «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانًا**» رواه البخاري ومسلم. وليعود نفسه أن يقول إذا أعجبه شيء: ما شاء الله تبارك الله، فإن هذا يمنع الضر عن الآخرين؛ لما رواه مالك في موطئه أن عامر بن ربيعة رأىٰ سهل بن حنيف يغتسل، فقال: «والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة. قال: فلَبِط سهل، فأتىٰ رسول الله ﷺ عامرًا فتغيظ عليه، وقال: **علام يقتل أحدكم أخاه، ألا بركت، اغتسل له،** فغسل له عامر وجهه ويده ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب عليه، فراح مع الناس». والله أعلم.

الشيطان ينفك عن الإنسان بالموت

سائلة تقول:

هل الشَّيطان الرَّجِيم ينفكُّ عن الإنسان بعد موته وعند دخوله القبر؟

الجواب:

نعم، إذا مات ابن آدم انقطع عنه كلّ شيء، وابتعد عنه الشَّيطان، ولا يبقىٰ معه إلا عمله في قبره، سيِّئًا كان أمْ حَسَنًا. يتنعّمُ في قبره إن كان عمله صالحًا، ويتعذّبُ فيه إن كان سيِّئًا. والله أعلم.

مجرد النطق بالشهادتين لا يكفي لدخول الجنة

سائل يقول:

يظنّ البعض أنّ النّطق بالشّهادتين يكفي لدخول الجنَّة والنَّجاة من النّار مهما فعلوا متمسّكين بظواهر بعض الأحاديث فأرجوا أن تجيبوا علىٰ هذه الشبهة؟

الجواب:

الشهادتان هما الركن الأول من أركان الإسلام؛ لما ثبت في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**» متفق عليه.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر،

لا يرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتىٰ جلس إلىٰ النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه، ووضع كفيه علىٰ فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**، قال: صدقت، قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: **أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: **أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: **ما المسئول عنها بأعلم من السائل**، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: **أن تلد الأمة ربتها، وأن ترىٰ الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**، قال: ثم انطلق، فلبثت مليًّا، ثم قال لي: **يا عمر، أتدري من السائل؟** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» رواه مسلم.

ولا يكون الإنسان مسلمًا إلا بالنطق بها واعتقادها، وهي أول ما يدعىٰ إليها غير المسلم؛ ليدخل بذلك في الإسلام، كما ثبت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلىٰ اليمن: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلىٰ أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة...الحديث**» متفق عليه.

ومن نطق بالشهادتين فيحكم بإسلامه عملًا بظاهر حاله، وتجرىٰ عليه أحكام المسلمين ظاهرًا، فيحرم دمه وماله؛ لما ثبت في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقَات من



جهينة، فأدركت رجلًا، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال: **أقال لا إله إلا الله وقتلته؟** قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفًا من السلاح، فقال: **أفلا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم أقالها أم لا**، فما زال يكررها حتىٰ تمنيت أني أسلمت يومئذ» رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله، فقد عصم مني نفسه، وماله، إلا بحقه، وحسابه علىٰ الله**» متفق عليه.

فإن كان نطقه بالشهادتين دون اعتقاد القلب لم ينفعه ذلك، فإن الإيمان قول وعمل، وإن شئت قلت: هو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، أو قل: هو إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، فهذا هو حقيقة الإيمان.

والمنافقون قد نطقوا بالشهادتين، لكن لم يعتقدوها في قلوبهم، فهم في الدرك الأسفل من النار، كما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦].

وفي حديث عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**فإن الله قد حرم علىٰ النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**» متفق عليه.

فإذا نطق بالشهادتين وصدق بقلبه فهو المسلم، فيؤمر بالطاعات، وينهىٰ عن المعاصي، وهذه الأعمال داخلة في مسمىٰ الإيمان، كما هو معتقد أهل السنة والجماعة؛ لما دلت عليه أدلة الكتاب والسنة، فالصلاة

والذكر أعمال تسمىٰ إيمانًا، وحسن الخلق والحياء، وإماطة الأذىٰ عن الطريق، كلها أعمال وهي من الإيمان، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

فالإيمان أصل له شعب متعددة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون -أو: بضع وستون- شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم. وكل واحدة من هذه الشعب تسمىٰ إيمانًا، ومراتب هذه الشعب متفاوتة، فمنها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها، ولكن ينقص من إيمان العبد بحسب نقصانه منها.

وفي حديث وفد عبد القيس سئل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال: «**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**» رواه البخاري ومسلم. فجعل النبي ﷺ تلك الأعمال كلها من الإيمان.

والأعمال تتفاوت مراتبها بحسب أنواعها، وكذا مراتب العباد تتفاوت بحسب إيمانهم، كما قال ﷻ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقال سبحانه: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال -جل وعلا-: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

والأدلة في هذا المعنىٰ كثيرة، والمعاصي تتفاوت بحسب أنواعها،



فمنها ما يكفر العبد بالوقوع فيها، وإن كان ناطقًا بالشهادتين، كالشرك بالله، كما قال تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وكمن جحد وجوب الصلاة أو الزكاة أو الحج، وكمن ترك الصلاة ولم يفعلها، ومنها ما لا يكفر بالوقوع فيها، لكنه يعد واقعًا في كبيرة من كبائر الذنوب، كالسارق والزاني وشارب الخمر ونحو ذلك من كبائر الذنوب، فهم مسلمون وهم في الآخرة تحت مشيئة الله -جل وعلا-، ومآلهم إلىٰ الجنة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٧].

ولهذا فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأما من يقول: إنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهذا لا شك أنه قول باطل، وهو قول المرجئة، وهو مخالف لما دلت عليه أدلة الكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة، فإنهم مجمعون علىٰ أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، فالإيمان عندهم قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح. وهذا هو الحق والصواب. نسأل الله تعالىٰ الهداية والتوفيق لما يحبه ويرضاه. والله أعلم.

من زعم أن الشرك لا يقع في هذه الأمة

سائل يقول:

من الشبه التي يتداولها البعض أن هذه الأمّة لا يقع فيها شرك وهي تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله؟

الجواب:

إن النطق بالشهادتين لا يعصم المسلم من الوقوع في الشّرك؛ بل جاء

التحذير الشّديد للمسلمين من الشّرك، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١].

وقد امتدح الله ﷻ المؤمنين الذين لا يشركون في عبادته أحدًا فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٨-٥٩].

وممَّا يدلُّ علىٰ أنَّ المسلمين معرّضون للوقوع في الشّرك -مما يتوجب عليهم الابتعاد عنه والحذر منه- ما جاء من تحذيرات علىٰ لسان رسول الله ﷺ للمسلمين من الشّرك والبعد عنه، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النّبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: **الشّرك بالله...**» الحديث متفق عليه.

وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أيضًا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**» رواه مسلم. وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة الدالة علىٰ أنّ النطق بالشهادتين لا يعصم المسلم من الوقوع في الشّرك. والله أعلم.

اتخاذ الشفعاء والوسطاء

سائل يقول:

من الشبه التي تتعلّق بالأضرحة قولهم: إنَّما يقصد الأولياء والصالحون؛ ليشفعوا لنا عند الله؛ لصلاحهم ومكانتهم. فكيف نردّ عليهم؟

الجواب:

هذه المقالة هي كمقالة المشركين عندما نهاهم الرّسول ﷺ عن عبادة الأصنام، قالوا: ما نعبدهم إلا ليتوسّطوا لنا عند الله فيكونوا شفعاؤنا



عند الله، وقد أخبر القرآن الكريم عن حال هؤلاء المشركين فقال تعالىٰ: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣].

فهؤلاء المشركون يعترفون بأنَّ الله وحده هو خالق كل شيء، وربّ كل شيء، وهو وحده الرّازق، ومع ذلك لم ينفعهم هذا في شيء؛ لأنَّهم اتَّخذوا أولياء ووسطاء يشفعون لهم عند الله بزعمهم، يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١]، ويقول تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقد أنكر المولىٰ ﷻ علىٰ الذين يتّخذون شفعاء إليه فقال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤].

فمن يحتج بأنّه إنّما يزور قبور الأولياء والصالحين ليس لطلب الحاجات منهم، وإنّما ليشفعوا له عند الله، إنّما يكون بمنزلة المشركين الذين قالوا: ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلىٰ الله زلفىٰ. والله أعلم.

تحقيق التوحيد

سائل يقول:

كيف يتم تحقيق التوحيد؟

الجواب:

التوحيد يتحقّق بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فيخلص المسلم العبادة لله وحده، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

والعبادة تشمل كل ما يحبّه الله ويرضاه من أعمال القلب والجوارح، يتوجّه بها إلىٰ الله وحده دون شريك أو وسيط أو ند.

وأعمال القلب هي الإيمان الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه.

وأعمال الجوارح هي العمل بالأركان. وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمد رسول الله، ومضمونها الإقرار الجازم أن لا معبود بحق إلا الله، وأن لا متبوع بحق إلا رسول الله ﷺ، وإقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلًا.

فمن آمن جنانه، وأقرّ لسانه، وعملت جوارحه مخلصة العمل لله وحده استحق الجنة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤].

وقد بينها رسول الله ﷺ في كلمتين: الإيمان والاستقامة، ففي الحديث الذي رواه سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال: **قل آمنت بالله ثمّ استقم**» رواه مسلم.

فإذا حقق الشهادتين وعمل بباقي أركان الإسلام وحقق أركان

الإيمان ولم يقع في شيء من الشرك الأكبر المخرج من الملة ولا بشيء من الشرك الأصغر المنافي لكمال الإيمان والتزم سنة النبي ﷺ وابتعد عن البدع والإحداث في الدين فقد تحقق التوحيد لله تعالىٰ. نسأل الله أن يجعلنا منهم، والله المستعان.

كلمة في الدعوة إلى الله

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وبعد: فقد سألني بعض الإخوة الدعاة أن أكتب لهم كلمة حول الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وما ينبغي علىٰ الدعاة والمدعوين، فأقول وبالله التوفيق:

إن الدعوة تقوم علىٰ أركان ثلاثة هي:

الركن الأول: الداعي: وهو الشخص الذي يقوم بتبليغ الإسلام للناس وتعليمهم إياه، وبيان كيفية تطبيقه، ينبغي أن تتوفر فيه أمور عدة من أهمها:

١ - أن يكون ملتزمًا عاملًا بأحكام الإسلام؛ لأن الناس لا تقبل دعوة الداعي المخالف لما يدعو إليه. وقد قال ربنا -جل وعلا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

٢ - أن يكون عالمًا بما يدعو إليه؛ لتكون دعوته علىٰ بصيرة، كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. ولما بعث النبي ﷺ معاذًا إلىٰ اليمن علمه ما يدعو إليه، وقال له: «**إنك تقدم علىٰ قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلىٰ أن يوحدوا الله تعالىٰ، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا**

صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد علىٰ فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس» رواه البخاري ومسلم.

٣ - أن يكون حكيمًا في دعوته؛ لأن من يفتقد الحكمة في دعوته قد يسيء إلىٰ الدعوة من حيث يظن أنه يحسن، وقد أمر الله تعالىٰ في كتابه بذلك، فقال سبحانه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ ولأن النفوس لا تقبل إلَّا من يحسن سياستها، ويرفق بها ويختار وقت إقبالها، وحسبنا في ذلك أسوة سيدنا محمد ﷺ.

٤ - أن يكون صابرًا علىٰ ما يلحقه في سبيل دعوته؛ لأن من شأن الداعي أن تعترض طريقة العقبات والصعاب فيحسن به الصبر عليها واحتساب أجره عند الله تعالىٰ.

٥ - أن يكون رفيقًا لينًا مع الناس في دعوته، عملًا بقوله سبحانه لموسىٰ وأخيه هارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، وقوله سبحانه عن نبينا محمد ﷺ: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الركن الثاني: **المدعو**: وهو من توجه إليه الدعوة، والمدعوون أصناف ثلاثة:

١ - **المسلمون**: وهم عدة أصناف من حيث قوة إيمانهم وضعفه، والتزامهم وتفريطهم وجهلهم وعلمهم، ويجب علىٰ الداعي أن يعرف مواطن الخلل والتقصير عند كل صنف ليقدم إليه الدعوة التي تناسبه.

٢ - **الكفار**: وهم يختلفون من أهل كتاب إلىٰ وثنيين إلىٰ ملاحدة

إلىٰ مرتدين.

٣ - **المنافقون**: وهم من يبطن الكفر ويظهر الإسلام.

فيدعو كل فريق بما يناسبه، وهذا باب يطول شرحه وبيانه، لكن المقصود هو أن يتعرف الداعي علىٰ حال المدعوين، وفي حديث معاذ السابق ما يدل علىٰ مراعاة هذا الجانب، فإن النبي ﷺ قال لمعاذ: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب**» فبين له ﷺ حال المدعوين.

الركن الثالث: الدعوة: وهي دين الإسلام بمختلف أحكامه وتشريعاته وآدابه.

وينبغي علىٰ الداعي أن يكون أول ما يبدأ به نفسه وذلك بإجابة داعي الله والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه.

وأولىٰ الناس بالدعوة هم الأقربون منه؛ لقوله تعالىٰ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. يبدأ بأقرب المقربين إليه، الوالدين والزوجة والأبناء، ثم الأقرب فالأقرب، ثم جيرانه، ثم بقية الناس جميعهم حسب علمه واستطاعته. والله الموفق.

❀ ❀ ❀

كلمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه، وبعد:

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل عظيم من أصول الإسلام، وقد أولىٰ القرآن الكريم والسنة النبوية هذا الأمر أهمية كبرىٰ. قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]. ففي هذه الآية يبين سبحانه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحقيق الولاية بين المؤمنين، وأنه من أسباب النصر علىٰ الأعداء، والتمكين في الأرض. قال تعالىٰ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

وفيه الأمن من الهلاك، والمحافظة علىٰ المجتمعات، فعن النعمان ابن بشير رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«مثل القائم علىٰ حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا علىٰ سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا علىٰ من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا علىٰ أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»**.

وفيه دفع العذاب عن العباد. قال تعالىٰ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ

بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

وهو مطلب مهم لمن أراد النجاة لنفسه. قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

وفيه التوفيق للدعاء والاستجابة. فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ اللهُ أن يبعث عليكم عقابًا منه ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم**».

والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مكفرات الذنوب والخطايا، ففي الحديث الصحيح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فتنة الرجل في أهله، وماله، ونفسه، وولده، وجاره، يكفرها الصيام، والصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**».

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب الظفر بعظيم الأجور، وتكثير الحسنات، قال تعالىٰ: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [النساء: ١١٤].

وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحيا السنن وتموت البدع، ويضعف أهل الباطل والأهواء، وهو من أبرز صفات المؤمنين وسماتهم، ومن أعظم الوسائل لقوتهم وتماسكهم. والغفلة عنه، أو التهاون فيه، أو

تركه، يجر إلىٰ مفاسد كثيرة، وأضرار جسيمة. يقول الحق -تبارك وتعالىٰ-: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

وفي الحديث عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**» رواه أحمد والترمذي وحسنه.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية علىٰ عموم المسلمين، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقد يكون فرض عين علىٰ واحد بعينه، إذا لم يكن هناك من يعلم هذا المنكر إلا هو، فيجب عليه إنكاره.

ويكون الإنكار بحسب القدرة عليه، والإنكار بالقلب لا بد منه، ولا يعذر فيه أحد؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» رواه مسلم.

ويتعين الرفق في الإنكار، قال سفيان الثوري: لا يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق فيما يأمر، رفيق بما ينهىٰ، عدل بما يأمر، عدل بما ينهىٰ، عالم بما يأمر، عالم بما ينهىٰ.

فإذا كانت له القدرة علىٰ التغيير باليد مثل ولي الأمر، أو من ينوب عنه، فقد وجب عليه تغييره باليد، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع بلسانه، فجب عليه الإنكار بقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

نسأل الله تعالىٰ أن يوفقنا لمرضاته، والعمل بكتابه، وبسنة نبيه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

حكم الاحتفال بالمولد

سائل يقول: ما حكم الاحتفال بمولد النبي ﷺ؟ وهل يجوز للإنسان أن يحتفل بيوم ميلاده كل سنة؟

الجواب:

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» متفق عليه، والاحتفال بالمولد لم يفعله النبي ﷺ ولا أصحابه الكرام -رضوان الله عليهم-، ولا أحد من السلف الصالح، لذا فهو بدعة محدثة، ولو كان سنة وخيرًا لسبقنا إليه من هم أفضل منا من الصحابة والتابعين.

ولا يجوز أيضًا للإنسان أن يحتفل بيوم ميلاده كما لا يجوز إقامة عيد ميلاد لأحد؛ لأنه بدعة، وقد ثبت في الحديث الصحيح: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**»؛ ولأنه تشبه بالكفار في عملهم، وقد قال -عليه الصلاة والسلام-: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» رواه أحمد وأبو داود. والله أعلم.

الاحتفال بالمولد

سائل يقول: ما حكم احتفال النساء والرجال بمولد النبي ﷺ، حيث إنهم يغنون ويرقصون؟

الجواب:

إقامة الاحتفال بمولد رسول الله ﷺ لا يجوز لكونه بدعة مخالفة لهديه ﷺ وهدي خلفائه الراشدين وصحابته رضي الله عنهم أجمعين، وقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» متفق عليه. وهذا لم يفعله الرسول ﷺ، ولم يأمر به، ولم يرد أن أحدًا فعله وسكت عنه، ولا فعله خلفاؤه من بعده، وهكذا سلف الأمة في القرون الثلاثة المفضلة لم يفعلوه.

فالاحتفال بالمولد بدعة، ثم كما جاء في السؤال يوجد في هذا الاحتفال من المنكرات ما لا يقره شرع ولا عقل، فيختلط النساء مع الرجال يغنون ويرقصون، ومعلوم أن اختلاط النساء بالرجال من المنكرات والفتن التي قد تفضي إلىٰ الفاحشة والعياذ بالله. نسأل الله تعالىٰ أن يهدي ضال المسلمين، ويردهم إلىٰ طريق الحق. وبالله التوفيق.

الخوف الجبلي

سائل يقول:

هل يأثم الإنسان كثير الخوف عندما يخاف من الظلام أو بقائه بمفرده مثلًا مع علمه بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ومع محافظته علىٰ أذكار الصباح والمساء؟

الجواب:

لا يأثم بذلك إن شاء الله، لأن الخوف نوعان:

خوف جبلي في الإنسان: كأن يخاف من السباع والهوام والظلام وشدة البرد وغير ذلك مما لا يستطيع دفعه، فهو طبيعة في الإنسان لا يأثم عليها، ولا يؤاخذ عليها وقد قال الله ﷻ عن نبيه إبراهيم لما أتاه الملك: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠]، وقال عن موسىٰ عليه السلام ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧]، وغير ذلك.

والنوع الآخر: هو الخوف من الناس في جلب نفع أو دفع ضر، وعدم الاعتماد علىٰ الله تعالى وعدم التوكل عليه، فهذا الخوف هو المنهي عنه؛ لأن الواجب علىٰ المسلم أن يتوكل علىٰ الله حق التوكل وأن يعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروه بشيء لن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، كما أن عليه أن يأخذ بالأسباب، فالنبي ﷺ كان يدخل الحرب، ويلبس اللأمة والدرع والمغفر، ويأخذ أدوات القتال، ويحارب، فكان يأخذ بالأسباب ﷺ، ويفعل ما ينبغي فعله، ويتوكل علىٰ الله تعالىٰ، عالمًا بأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

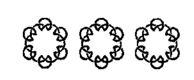
الخوف من القبر

سائل يقول:

إذا كان الإنسان كثير الخوف لدرجة كبيرة، فكيف يكون وحده في القبر، وهو مظلم عليه، والدود من حوله، وهل يشعر بالخوف كما يشعر به في الدنيا؟

الجواب:

ليس في القبر ما يوحش الإنسان أو يؤنسه إلا عمله، فإن كان عمله صالحًا فعمله هو الذي يؤنسه، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه من روح الجنة وريحانها، ويكون مرتاحًا وفي غاية السرور، أما إن كان عمله سيئًا -والعياذ بالله- فلا أوحش له من عمله. ولذا أمر النبي ﷺ بالتعوذ من عذاب القبر في كل صلاة. نسأل الله لنا ولكم العمل الصالح، وأعاذنا وإياكم من عذاب القبر.





الفهرس

